غزوة أحـــد أحداثها وآثارهـا

إعـــداد
أ.د/ سيف الدين حسين يوسف
الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب
بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعـة الأزهـر

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحساء إلى يوم الدين، آمين ... **وبعـــد**؛؛؛

فإن مغازي رسول الله ﷺ تمثل جانباً مهماً من سيرته ﷺ، لذلك كان الصحابة والتابعون يحرصون على تعليم أبنائهم المغازي كحرصهم على تعليمهم السورة من القرآن الكريم [1]، وقد غزا رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين غزوة، ومن هذه الغزوات ــ التي لها آثارها المفيدة للمسلمين، "غزوة أحد" فقد كانت لها أطوار ثلاثة، ولها نتائج متعددة ومتنوعة، وظل ﷺ يزور قبور شهدائها على رأس كل عام حتى لحق بالرفيق الأعلى .

وقد أُلفت في هذه الغزوة أبحاث كثيرة، منها ما هو ضمن الكتابة في السيرة النبوية المشرفة، ومنها ما هو منفرد.

أسباب اختيار الموضـوع:

دعاني إلى البحث في هذا الموضوع العديد من الأسباب من أهمها ما يلي:

١ ــ الحب لرسول الله ﷺ .

---

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب البغدادي، ج ٢ ص ١٩٥، تحقيق: د/ محمود الطحان. عن عبد الله بن محمد بن علي عن أبيه، قال: سمعت علي بن الحسين يقول: ﴿ كنا نُعَلم مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نُعَلم السورة من القرآن ﴾ رقم (١٥٩١)، وعن إسماعيل بن محمد بن سعد قال: ﴿ كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويَعُدُها علينا، وسراياه، ويقول: يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها ﴾ رقم (١٥٩٠) .

٢ ــ إن المسلمين يستقبلون ذكر غزوة أحد بملء قلوبهم حزناً وأسفاً لما أصابهم فيها من قرح وما وقع لهم فيها من محنة وبلاء [١] . فهل هم محقون في هذا ؟

٣ ــ الدروس والعبر الموجودة في غزوة أحد التي نحن جميعاً أمة الإسلام في أمس الحاجة إليها الآن .

٤ ــ الجهود الكثيرة التي قدمها الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ في هذه الغزوة .

وسوف أستعرض – إن شاء الله – في "هذه الغزوة" أحداثها، وأتناول آثارها، بالعرض والتحليل.

منهج البحث:

سلكت في هذا الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي .

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وخاتمة وبينهما ثلاثة مباحث:

فالمقدمة: تشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته .

والتمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث .

والمبحث الأول: الإعداد لغزوة أحد .

ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسباب الغزوة .

المطلب الثاني: إعداد الجيش .

---

(١) زاد المسلم للدين والحياة، د/ محمد عبد الله دراز، جمع وإعداد: أحمد مصطفى فضلية، ص ١٣١، ط (١)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، دار القلم، القاهرة .

المطلب الثالث: النفاق يسفر عن وجهه .

المطلب الرابع: الرسول ﷺ يعطي أوامره ويخطط ميدان المعركة ويحرض على القتال .

المبحث الثاني: أحداث غزوة أحد .

ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: طور الالتزام بالتوجيهات النبوية .

المطلب الثاني: طور التشاغل بالدنيا وجمع الغنائم .

المطلب الثالث: طور العودة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ .

المطلب الرابع: ما يستفاد من غزوة أحد .

المبحث الثالث: آثار غزوة أحد .

ويتكون من خمسة مطالب:

المطلب الأول: الآثار السياسية لغزوة أحد .

المطلب الثاني: الآثار الاقتصادية لغزوة أحد .

المطلب الثالث: الآثار الاجتماعية لغزوة أحد .

المطلب الرابع: الآثار الفقهية لغزوة أحد .

المطلب الخامس: الفوائد والحكم الربانية وما نزل من القرآن الكريم في غزوة أحد .

وأخيراً الخاتمـــــــــة .

والله ــ تعالى ــ أسأل التوفيق والسداد والقبول .

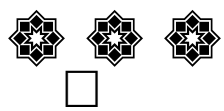

التمهيد

شرح مفردات عنوان البحث

أولاً: تعريف مفردة غزوة لغة واصطلاحاً:

أ ـ تعريف مفردة غزوة في اللغة: كلمة غزوة تطلق في اللغة:

"على المرة من الغزو، غزا الشيء غزواً: أراده وطلبه ...، والغزو القصد ... والغزو السير إلى قتال العدو وانتهابه" (١).

ب ـ الغزوة في الاصطلاح: في عرف الشرع: خُص بقتال الكفار (٢) .

وعند أهل الحديث وأصحاب السير "كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه الكريمة" (٣) .

ثانياً: تعريف مفردة: أُحَد لغة واصطلاحاً:

أ ـ مفردة أحد في اللغة:

كلمة "أُحد": "بضمتين جبل بقرب مدينة رسول الله ﷺ من جهة الشام، وكان به الوقعة في أوائل شوال (٤) سنة ثلاث من الهجرة، وهو مذكر فينصرف، وقيل يجوز التأنيث على توهم البقعة فيُمنع، وليس بالقوي" (٥) .

وقال السهيلي: "سمي أُحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال أُخَر هناك

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص ٤٤٧، ولسان العرب، ج ٣٦ ص ٣٢٥٣، مادة: غزا .

(٢) كشاف اصطلاح الفنون، للتهانوي، ج ٣ ص ٤٠١، ط (١)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٤) من أصحاب السير من يذهب إلى أن غزوة أحد كانت في أوائل شوال، ومنهم من يذهب إلى أنها كانت في منتصف شوال .

(٥) المصباح المنير، ج ١ ص ٥٦ .

أو لما وقع من أهله من نصرة التوحيد، ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية" (١) .

ب ـ مفردة أُحُد في الاصطلاح:

أحُد في الاصطلاح: "اسم للجبل الذي كانت عنده غزوة أحد ... في سنة ثلاث .." (٢) ... وبينه وبين المدينة أقل من فرسخ (٣) وهو شماليها" (٤) .

ثالثاً: مفردة أحداث لغة واصطلاحاً:

أ ـ مفردة أحداث لغة:

"لفظة أحداث جمع "حدث" الحاء والدال والثاء أصل واحد: وهو كون الشيء لم يكن يقال حدث أمر بعد أن لم يكن" (٥) .

حدث الشيء يحدث حدوثاً، وحداثة وأحدثه هو فهو محدث ... وحدث أمر وقع ... وحدثان الدهر وحوادثه: نُوبه وما يحدث منه واحدها حادث، وكذلك أحداثه، واحدها حدث .

ب ـ مفردة أحداث اصطلاحاً:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي فيقصد بمفرده

---

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣٥٧ .

(٢) معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج ١ ص ١٠٩ .

(٣) في معجم البلدان ذكر ياقوت أن بينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها، ج ١ ص ١٠٩، والفرسخ باتفاق الفقهاء ثلاثة أميال، المكاييل والموازين الشرعية، د/ علي جمعة، ص ٣٦، ط (١)، ٢٠٠٢م، دار الرسالة .

(٤) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣٥٦ . (٥) معجم مقاييس اللغة، ج ٢ ص ٣٦ .

أحداث من حدث وهو ما يقع فيه من أحداث .

والمقصود بهذه اللفظة: أحداثها أي ما وقع في غزوة أحد .

رابعاً: مفردة آثار لغة واصطلاحاً:

أ ـ مفردة آثار في اللغة:

كلمة آثار جمع أثر: الهمزة والثاء والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي [١] .

"والأثر: الخبر" [٢] "وما خلفه السابقون والخبر المروي" [٣] .

ب ـ الأثر في الاصطلاح:

للأثر في الاصطلاح ثلاثة معان:

الأول: بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء [٤]، **والثاني**: بمعنى العلامة، **والثالث**: بمعنى الجزء [٥] .

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٣، مادة: أثر .

(٢) لسان العرب، ج ١ ص ٢٥، مادة : أثر .

(٣) المعجم الوسيط، ج ١ ص ٥ .

(٤) ويسمى عند الفقهاء بالحكم، الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ١ ص ٢٤٩ .

(٥) التعريفات، للجرجاني، ص ٤، مطبعة مصطفى البابي الحلي، سنة ١٩٣٨م .

المبحث الأول

الإعداد لغزوة أحـــد

ويشمل أربعة مطالب:

المطلب الأول

أسبـــاب الغـــزوة

كان لهذه الغزوة العديد من الأسباب وهي:

١ ــ السيطرة الكاملة للمسلمين على طريق تجارة وقوافل أهل مكة إلى الشام، وليس لهم إلا طريق التجارة إلى الحبشة، وهي ليست رابحة بالمقارنة بالشام [١] .

٢ ــ الثأر من المسلمين لمن قتل من المشركين في غزوة بدر، فقد قتل من صناديدهم سبعون من أصحاب المكانة البارزة فيهم، وحتى تتخذ قريش قرار الحرب كان عليها أن تمهد بتحريض الناس وتهييجهم تجاه المسلمين، فقد "مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، ورجال ممن كان لهم قتلى في بدر مستفيدين من كل طاقاتهم، فكلموا أبا سفيان بن حرب وكل من كان له مال في العير التي نجت، وكان قوامها ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا، قال ابن إسحاق: "ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى" [٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ

(١) الرسول القائد، للواء الركن/ محمود شيت خطاب، ص ١٧١ .

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، م٢ ج ٣ ص ٣ .

لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧ (١) .

وقد ذكر ابن كثير قول من قال: أن هذا في أهل بدر، قال: "وعلى كل تقدير فهي عامة، وإن كان سبب نزولها خاصاً" (٢) ثم يغلبون، ثم يحشرون إلى جهنم .

وكان أول من أجاب أبو سفيان وقال: "فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي، فأنا والله الموتورُ الثائر قد قتل ابني حنظلة ببدر" (٣)، وكان أهل مكة قد امتلئوا غيظاً على المسلمين منذ وصلهم خبر الهزيمة والقتلى منهم، فـ "ناحت قريش على قتلاهم" (٤) شهراً، وجز النساء شعورهن (٥)، "ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم" (٦) .

وأمر أبو سفيان قريشاً بعد الرجوع من بدرٍ بعدم البكاء حتى يبقى الحزن عندهم وحرم الدُهن والنساء على نفسه فلا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يأخذوا ثأرهم .

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان (٣٦، ٣٧) .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٠٧، وقال: فقد أخبر الله تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم ثم تكون عليهم حسرة .

(٣) المغازي، الواقدي، ج ١ ص ٢٠٠ . (٥) السيرة النبوية، م ١ ج ٢ ص ٢١٥ .

(٥) السيرة الحلبية، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، ج ٢ ص ٢٥٩، ط (٢)، ١٤٢٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت . (٧) السيرة النبوية، م ١ ج ٢ ص ٢١٥ .

وقال: "يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم [1] ولا تنحُ عليهم نائحة ولا يبكيهم شاعر، وأظهروا الجلد والعزاء، فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم، فأكلكم ذلك عن عداوة محمد وأصحابه، مع أنه إن بلغ محمداً وأصحابه شمِتُوا بكم، فيكون أعظم المصيبتين شماتتهم، ولعلكم تدركون ثأركم، والدُهُن والنساء عليَّ حرام حتى أغزوا محمداً" [2] .

وتبعته زوجته "هند في هذا السبيل" فلما ذهب إليها نساء من قريش فقلن لها: ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك؟ فقالت: حَلْقَى [3] أنا أبكيهم فيبلغ محمداً وأصحابه، فيشمتوا بنا، ونساء بني الخزرج! لا والله، حتى أثأر محمداً وأصحابه، والدهن عليَّ حرام إن دخل رأسي حتى نغزوا محمداً، والله، لو أعلم أن الحزن يُذْهب من قلبي بكيت، ولكن لا يذهبه إلا أن أرى ثأري بعيني من قتلة الأحبة، فمكثت على حالها لا تقرب الدهن، وما قربت فراش أبي سفيان من يوم حلفت حتى كانت وقعة أحد [4] .

٣ ــ إخفاق أبي سفيان في الغارة التي قام بها بعد بدر، ليبر قسمه

(١) قال ابن كثير: وكان هذا مما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم فإن البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين، البداية والنهاية، م ٢ ج ٣ ص ٣١٠ .

(٢) المرجع السابق، ج ١ ص ١٢١ .

(٣) حَلْقى: أي حلقها الله ــ يعني أصابها بوجع في حلقها خاصة، النهاية في غريب الحديث، ج ٣ ص ٩٩٧ .

(٤) المغازي، الواقدي، ج ١ ص ١٢٤ .

السابق بأن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يثأر من المسلمين، فخرج بمئتي فارس، وأغار على أطراف المدينة، وقام بإحراق الأصوار [١] لنخل بها، وأخذ رجلاً من الأنصار وحليفا له فقتلهما، فلما علم المسلمون بذلك طاردوهم فلم يلحقوا بهم، وكان مع المعتدين السويق [٢] فتخففوا منه وتركوه طلباً للنجاة فسميت غزوة السويق [٣] وكانت في الخامس من ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر بشهرين .

٤ ــ ما أصاب قريشاً من سرية "زيد بن حارثة ﷺ: فقد اتخذت قريش طريقاً جديداً إلى الشام وهو طريق العراق، حتى لا يمروا على طريق المدينة، فخرج منهم تجار من بينهم أبو سفيان ومعهم فضة كثيرة، واستأجروا دليلاً لهم هو "فرات بن حيان من بني بكر بن وائل، وقال ابن هشام: من بني عجل حليف لبني سهم، فعلم رسول الله ﷺ بذلك، فبعث زيد بن حارثة في سرية طلباً للعير، فأخذتها إلى رسول الله ﷺ بالمدينة [٤] فألهب هذا من حماسهم للحرب .

□

(١) الأصوار: النخل الصغير وقيل المجتمع، لسان العرب، لابن منظور، ج ٢٨ ص ٢٥٢٤ .

(٢) السويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير، لسان العرب، ج ٢٤ ص ٢١٥٦ .

(٣) انظر: السيرة النبوية، م ١ ج ٢ ص ٣٠٤، ٣٠٥، وسبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٤) انظر: السيرة النبوية، م ١ ج ٢ ص ٣٠٨، ٣٠٩ .

المطلب الثاني

إعـــداد الجيـــش

أ ـ إعداد جيش قريش:

بعدما قررت قريش الحرب، وتوفر لهم المال، دعت أحلافها من الأحابيش [1] وانضم إليها كل ناقم على الإسلام وأهله [2] . في جيش كبير بلغ ثلاثة آلاف مقاتل، وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا [3] فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس، بقيادة أبي سفيان بن حرب، وجعلوا على الميمنة "خالد بن الوليد"، وعلى الميسرة "عكرمة بن أبي جهل" ودفعوا اللواء إلى "طلحة بن أبي طلحة" من بني عبد الدار [4] .

ب ـ إعداد جيس المسلمين:

بعدما انتهت قريش من إعداد جيشها، وهي مستعدة للذهاب إلى المدينة لقتال المسلمين، جاء خبرها إلى رسول الله ﷺ من طريقين:

الطريق الأول: رسالة من عمه العباس بن عبد المطلب بما عزم عليه أهل مكة وبأعدادهم، وحَمَّل هذه الرسالة لرجل من غفار، على وجه السرعة

---

(١) الأحابيش: الذين تحالفوا مع قريش وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة وبنو الحراث بن عبد مناف، اجتمعوا بذنبة حُبشي: جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك، بينه وبين مكة ستة أميال، اجتمعوا عنده وحالفوا قريشاً فسموا باسم الجبل، معجم البلدان، ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) فقه السيرة، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ٢٦٦ . (٣) زاد المعاد، م١ ج ٢ ص ٩١ .

(٤) راجع: زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ٩٢، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٣، الرسول القائد، ص ١٧٢ .

ليسلمها خلال ثلاثة أيام إلى المدينة، وتسلم رسول الله ﷺ الرسالة وكان بقباء، وقرأها أبي بن كعب، فاستكتمه إياها [١] .

الطريق الثاني: بعث رسول الله ﷺ عينين له: "أنساً ومؤنساً ابني فضالة، ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق، فسارا معهم حتى نزلوا بالوطاء، فأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه [٢] بخبر قريش. وأتاه الحباب بن المنذر بعددهم [٣] .

رؤيا رسول الله ﷺ:

أعلم الرسول ﷺ المسلمين بما اجتمعت عليه قريش وقص عليهم رؤيا رآها وفسرها لهم، هذه الرؤيا تلخص غزوة أحد وما بعدها، رأى أنه هز سيفاً وهو ذو الفقار فانقطع صدره، ثم هزه مرة أخرى فعاد أحسن ما كان بقراً، ورأى أنه أدخل يده في درع حصينة، فأول ذلك: فالثلمة في السيف رجل من أهل بيته يقتل، والبقر بقتل أناس من صحابته، والدرع الحصينة المدينة، فعن أبي موسى أراه عن النبي ﷺ قال: ﴿ رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل، فذهب وهلي إلى أنها

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٢) المغازي، الواقدي، ج ١ ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

(٣) انظر: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٠٧، ٢٠٨، فقال له رسول الله ﷺ ما رأيت؟ قال: رأيت يا رسول الله عدداً، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة، حزرتها سبعمائة درع. قال: هل رأيت ظُعناً؟ قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار يعني الطبول، فقال رسول الله ﷺ: أردن أن يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم، لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول، المغازي، الواقدي، ج ١ ص ٢٠٨ .

اليمامة أو الهجر، فإذا هي المدينة، يثرب ورأيت فيها بقراً والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي آتانا الله به بعد يوم بدر ﴾ (١) .

وروى مسلم: ﴿ رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهْلي أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته أخرى، فعاد أحسن مما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقراً، والله خير، فإذا هو النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر ﴾ (٢) .

وقال الإمام النووي في كلمة "بقراً" ﴿ قد جاء في غير مسلم زيادة في هذا الحديث ﴿ ورأيت بقراً تنحر ﴾ وبهذه الزيادة يتم تأويل الرؤيا بما ذكر فنحر البقر هو قتل الصحابة ﷺ الذين قتلوا في أحد ﴾ (٣) .

وأُوِّل الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر، وما بعده إلى يوم فتح مكة (٤) .

□

(١) رواه البخاري، كتاب: التعبير، باب: إذا رأى بقراً تنحر، رقم الحديث: ٧٠٣٥ .

(٢) رواه مسلم، كتاب: الرؤيا، باب: رؤيا النبي ﷺ، رقم: ٢٢٧٢ .

(٣) صحيح مسلم، ج٤ ص ١٧٨٠، هامش ملخص شرح النووي .

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ج ١٢ ص ٤٤١ .

الرسول ﷺ يشاور أصحابه:

وبعد عرض رسول الله ﷺ رؤياه وتأويلها طلب المشورة من أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ في تحديد ميدان المعركة: إما بالمدينة، وإما خارجها، فقال ﷺ: "فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها. وكان رأي "عبد الله بن أبي بن سلول" مع رأي رسول الله ﷺ يرى رأيه في ذلك [١]، وهو رأى الأكابر من المهاجرين والأنصار" [٢] .

"ورأت جماعة من المسلمين غالبهم أحداث لم يشهدوا بدراً، وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو أن يخرجوا خارج المدينة، وقال: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبَنا عنهم" [٣] فلما رأهم رسول الله ﷺ أكثر من أصحاب الرأي الأول اتخذ القرار: بالخروج لملاقاة العدو .

الرسول ﷺ يلبس ملابس الحـرب:

دخل رسول الله ﷺ حجرة السيدة عائشة ، ولبس ملابس القتال وظاهر في درعين، فلما خرج عليهم، شعر أصحاب الرأي الثاني أنهم أكرهوا رسول الله ﷺ على الخروج فقالوا: يا رسول الله إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل، فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبي إذا لبس

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، م ١ ج ٣ ص ٥، ٦ .

(٢) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٧٥ .

(٣) المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسيهما .

لأمته [1] أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه [2] .

وكان عدد جيش المسلمين ألف رجل، منهم مائة دارع، وبعد أن صلى الجمعة وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ووعدهم بأن لهم النصر ما صبروا، ثم بعد صلاة العصر، دعا بثلاثة رماح فعقد ثلاثة ألوية:

١ ــ لواء الأوس دفعه إلى أسيد بن حضير .

٢ ــ لواء الخزرج دفعه إلى حباب بن المنذر، وقيل إلى سعد بن عبادة .

٣ ــ لواء المهاجرين ودفعه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه [3] .

وجعل ﷺ على إحدى المجنَّبتين "الزبير بن العوام"، وعلى الأخرى "المنذر بن عمرو" [4]، وسأل ﷺ عمن يحمل لواء المشركين فأجيب بأنه طلحة بن أبي طلحة، فقال رسول الله ﷺ "نحن أحق بالوفاء منهم فأخذ اللواء من علي ودفعه لمصعب بن عمير" [5]. "واستخلف على

(١) اللأمة: السلاح كله، وجمعها لُؤَم مثل فُعَل على غير قياس، وقد استلأم الرجل إذا لبس ما عنده من عدة، رمح وبيضة ومِغفر وسيف ونَبْل، لسان العرب، باب: اللام، ص ٣٩٧٧ .

(٢) زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ج ٣ ص ١٧٣ .

(٣) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٧٧، زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ٩٢ .

(٤) زاد المعاد، ج ١ ج ٢ ص ٩٢ .

(٥) المرجع السابق، ج ٤ ص ٢٨٣، لأن مصعب من بني عبد الدار بن قصي، وكان بِكْر قصي، فجعل إليه اللواء، والحجابة، والسقاية والرفادة، وكان قصى مطاعاً في قومه، لا يرد عليه شيء صنعه حتى قام الإسلام، فجرى ذلك في عبد الدار وبنيه، فوفى ﷺ بعهد قصي لأنه لم يخالف شرعه. شرح الزرقاني على المواهب، ج ٢ ص ٣٩٨ بتصرف .

المدينة عبد الله بن أم مكتوم ﷺ على الصلاة بمن بقي في المدينة" [١] .

وخرج رسول الله ﷺ قيل ماشياً، وقيل ركب فرسه السكب، والسعدان: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة يعدوان أمامه، والناس عن يمينه وشماله، فلما وصل "الثنية" رأى كتيبة لها زجل خلفه فقال: ما هذه؟ قالوا: يا رسول الله هؤلاء حلفاء ابن أبي من يهود، فقال رسول الله ﷺ: لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك [٢] .

الرسول ﷺ يستعرض جيشه:

فلما وصل الجيش الشيخين [٣] ــ وهما أُطُمان ــ عسكر به وقام باستعراض جيشه، "فرد من استصغر منهم وهم سبعة عشر وأجاز أفراداً من أبناء الخامسة عشرة" [٤] .

وكان ممن رد "سمرة بن جُندب، ورافع بن أبي رافع، فقيل له إن رافعا رام فأجازه، فجاء سمرة فقيل له إنه يصرع رافعاً فأجازه بعد اختباره [٥] .

□

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٥) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢١٥، ٢١٦ .

(٣) أُطُمان كانا في الجاهلية فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدثان، فسُمي الأطمان: الشيخين، مغازي الواقدي، ج ١ ص ٢١٥، وهو موضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، للسمهودي، ج ٣ ص ٦٤، ط (١)، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٤) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٧٨ بتصرف .

(٥) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٧٧ .

المطلب الثالث

النفـاق يسفر عن وجهــه

ولما بلغ رسول الله ﷺ الشوط: بستان بين المدينة وأحد، عند الفجر، رجع عبد الله ابن أبي بن سلول بثلث الجيش زاعماً أن النبي ﷺ أطاع الشباب وعصاه، وقال: على ما نقتل أنفسنا، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ناصحاً لهم بالعودة وعدم خذلان النبي ﷺ ومن معه فلم يستجيبوا له فقال: "أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه" [1]، وأنزل الله فيهم: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [2] قال مجاهد: (ميزهم يوم أحد وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۖ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [3] .

وانقسم المؤمنون في هؤلاء الذين تركوا رسول الله ﷺ فريقين: فريق قال: بقتلهم، والآخر قال بعدم القتل، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: ﴿ لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج، وكان أصحاب النبي فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿ ۞

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، م ٢ ج ٣ ص ٧٢٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٧٩) .

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٦٧) .

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ (١) وقال إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة ﴾ (٢) .

أثـر فعلة عبد الله بن أبـي:

عندما رأى المسلمون ما فعله "ابن أبي بن سلول" همت طائفتان أن تلحقا به، وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وقد وجههم الله تعالى ومن بعدهم إلى قيام الساعة أنه إذا أحس الإنسان بضعف أو فتور عن الحق فعليه أن يلجأ سريعاً إليه سبحانه، فهو الذي ينجي ويقوي من الضعف النفسي، فيقول سبحانه: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٣) فعن عمرو عن جابر ﷺ قال: ﴿ نزلت هذه الآية فينا [آل عمران: ١٢٢] ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ بني سَلِمة وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ ﴾ (٤) .

الرسول ﷺ يريد طريقاً لا يمر على جيش المشركين:

أراد رسول الله ﷺ أن يسلك بالجيش من طريق لا يمر بالمشركين حتى تكون لهم مفاجأة فسأل ﷺ: "من يمر بنا من كثب أي من قرب: من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال: أبو خيثمة أخو بني حارثة بن

(١) سورة النساء، الآية (٨٨) .

(٢) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة أحد، حديث رقم: ٤٠٥٠ .

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٢٢) .

(٤) رواه البخاري كتاب: المغازي، باب: إذا همت طائفتان، رقم الحديث: ٤٠٥١ .

الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلك في مال لمربع بن قيظي، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر" [1] فوقف من الجيش موقفاً قبيحاً، وأخذ التراب يرمى الجيش وآذى رسول الله ﷺ، فأراد الصحابة قتله فنهاهم رسول الله ﷺ [2] .

المطلب الرابع

الرسـول ﷺ يعطي أوامره ويخطط ميدان المعركة ويحرض على القتال

نظم رسول الله ﷺ الجيش، وخصص منه خمسين رامياً وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير وحدد مهمتهم لحماية ظهر الجيش وشدد في الأمر بالتزام أماكنهم ولا يتركوها إلا بإذنه ﷺ فقال ﷺ: ﴿ لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا ﴾ [3] وقال أيضاً مؤكداً: ﴿ إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ﴾ [4] .

ووعدهم بالنصر والغلب ما ثبتوا في أماكنهم (وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل، إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم إني أشهدك عليهم" [5] .

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، م١ ج ٣ ص ٧ .

(٢) انظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها .

(٣) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة أحد، حديث رقم: ٤٠٤٣ .

(٤) رواه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، رقم الحديث: ٣٠٣٩.

(٥) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٣ .

الرسول ﷺ يحرض المؤمنين على القتال:

وفي هذا الجو المشحون بالحماس للقتال نادى رسول الله ﷺ وفي يده سيف من يأخذ هذا فتقدم الصحابة لأخذه، فقال: ﴿ من يأخذ هذا بحقه فأحجموا، فتقدم أبو دجانة وقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به حتى ينحني، قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه ﴾ (١) . وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وله عصابة حمراء ــ إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ــ اعتصب بها وجعل يتبختر بين الصفين ، قال رسول الله ﷺ: "حين رأى أبا دجانة يتبختر إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن" (٢) .

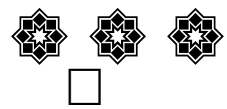

(١) روى مسلم حديث أنس: أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: ﴿ من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان فيهم يقول أنا، أنا. قال" فمن يأخذه بحقه؟ قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خَرشةَ، أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين ﴾ رواه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي دجانة، رقم الحديث: ٢٤٧٠ .

(٢) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٩ .

(٦) الرحيق المختوم، ص ٢٥٠، ٢٥١ .

المبحث الثاني
أحداث غزوة أحد

مرت غزوة أحد بثلاثة أطوار متصلة هي:

١ ــ طور الالتزام بالتوجيهات النبوية .

٢ ــ طور التشاغل بالدنيا .

٣ ــ طور العودة إلى طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ .

وإليك التفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول
طور الالتزام بالتوجيهات النبوية

أكمل الجيشان استعدادهما للمعركة، فوصل جيش قريش إلى مكان قريب من أحد يقال له "عينين" من قناة على شفير الوادي الذي يقع شمالي المدينة [١] وقامت قريش بعمل استفزازي في المكان حيث سرَّحت الإبل والخيل في زروع المسلمين بالصمغة [٢] وواصلوا سيرهم إلى أن بلغوا العقيق [٣] وهو على خمسة أميال من المدينة، وكان أبو سفيان قائدهم قام بتنظيم الجيش بطريقة الصفوف ــ تعلموها من رسول الله ﷺ في غزوة بدر ــ ونزل رسول الله ﷺ بالشعب من أحد، وجعل ظهر جيشه إلى أحد، وقال: "لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال" [٤].

□

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٢، والصمغة: أرض غرب جبل أحد بالمدينة، معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٨٤ .

(٢) العرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأكثره ووسعه عقيق، والعقيق بناحية المدينة، وفي بلاد العرب أربعة أعقة منها: عقيق المدينة، معجم البلدان، م٤ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٤) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٢ .

شـــرارة المعركـــة:

كان أول من بدأ الحرب أبو عامر عبد عمرو بن صيفي، وكان رأس الأوس في الجاهلية فلما جاء الإسلام جاهر بعداوته للرسول ﷺ وذهب إلى مكة، ومعه قيل خمسون غلاماً من الأوس وقيل خمسة عشر، وكان قد زعم لقريش أن قومه إذا رأوه سيتركون المؤمنين وينضمون إليه ولم يختلف عليه رجلان، فلما ظهر في الناس فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق، وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، فلما سمع ردهم قال أصاب قومي بعدي شر [١] ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم راضخهم ــ قاذفهم بالحجارة [٢].

ثم تقدم حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش "وصاح من يبارز فلم يبرز إليه أحد، التزاماً بأمر رسول الله ﷺ "لا يقاتلن أحد إلا بأمرنا" فقال يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، كذبتم واللات لو تعلمون أن ذلك حق لخرج إليَّ بعضكم، فبرز له علي بن أبي طالب فالتقيا بين الصفين فصرعه، ولم يجهز عليه، فقال له بعض أصحابه: ألا أجهزت عليه، فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفني عليه الرحم، وعرفت أن الله ــ تعالى ــ قد قتله، وكان قتل صاحب لواء المشركين تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ كأني مردف كبشا، فسر رسول الله ﷺ وأظهر التكبير وكبر المسلمون،

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، م ٢ ج ٣ ص ٩، ١٠ بتصرف .

(٢) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٤ بتصرف .

وشدوا على المشركين يضربونهم حتى اختلت صفوفهم" [1] وكانوا يهدرون كالفيضان في ساحة المعركة يهدون في المشركين هداً .

وانتشر المسلمون في كتائب متفرقة يحسون المشركين حساً حتى أجهضوهم عن أثقالهم، وتتابع على حمل اللواء كثير فقتلوا جميعاً فلما سقط اللواء تقدم "صُواب" عبد حبشي فحمل لواء المشركين فقتل، وحملة اللواء هم: طلحة بن أبي طلحة، فأبو شيبة، فأبو سعد، فمسافع بن أبي طلحة، فالحارث بن أبي طلحة، فكلاب بن طلحة، فالجُلاس بن طلحة، فأرطأة بن شُرحبيل، فشريح بن قارظ، فأبو زيد بن عمير، فقاسط بن شُرحبيل، فصُواب الغلام الحبشي [2] .

وكانت كلمة التعارف بين المسلمين أمت أمت وهي شعار المعركة .

بطـولات في هذا الطــور:

ظهرت بطولات نادرة في الميدان من أروعها ما قام به أبو دجانة ﷺ يشهد بذلك الزبير بن العوام عليه السلام أنه كان يفلق رؤوس المشركين وما قابله أحد منهم إلا قتله، حتى وصل إلى نساء المشركين ووجد من يحمسهم للقتال فرفع سيف رسول الله ﷺ ليقتل به من يفعل ذلك فصرخت امرأة فإذا هي هند فأَجَل سيف رسول الله ﷺ أن يقتل به امرأة [3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٢) المرجع السابق، ج ٤ ص ٢٨٨، ٢٨٩ .

(٣) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٦، ويذكر صاحب المنار فائدة من فعل رسول الله ﷺ إعطاء السيف لأبي دجانة ، فيقول: ومن فوائد مسألة إعطاء السيف أبا دجانة أن من سياسته ﷺ أنه لم يكن يحابي قومه ولا ذي القربى إلى غيرهم من المهاجرين، ولا المهاجرين على الأنصار، ولولا ذلك لما انتزعت من قلوبهم عصبية الجنسية الجاهلية، تفسير المنار، م ٢ ج ٤ ص ٨٣ .

ومن الأبطال أيضاً حنظلة غسيل الملائكة "لما أنكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبي سفيان [١] فوقع على الأرض فصاح، وحنظلة يريد ذبحه فأدركه الأسود بن شداد ويقال له ابن شَعُوب فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه، ومشي إليه حنظلة في الرمح قد أثبته فضربه الثانية فقتله، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: "إني رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض بماء المُزن في صحاف الفضة، قال أبو أسيد السعدي فذهبنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فقال رسول الله ﷺ: فاسألوا أهله ما شأنه؟ فسألوا صاحبته [٢] عنه، فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: فلذلك غسلته الملائكة" [٣] .

ولقد أبلى الصحابة بلاء حسناً منهم: الحمزة بن عبد المطلب [٤]،

---

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

(٢) وصاحبته هي جميلة بنت أبي بن سلول دخل بها ليلة أحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ بذلك فإذن له، فلما صلى الصبح غَدَا يريد رسول ﷺ فلزمته زوجته فعاد فكان معها فأجنب منها، وقد أشهدت أربعة من قومها على الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع، فقيل لها لِمَ أشهدت؟ فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت هذه الشهادة، وعلقت بعبد الله بن حنظلة ﷺ .سبل الهدى والرشاد، ج٤ ص ٣١٤، ٣١٥

(٣) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣١٤ .

(٤) كان الحمزة بن عبد المطلب أعز قريش وأشدهم شكيمة، ومن أشجع العرب والمسلمين بل أشجعهم، سيد الشهداء، وكان في المعارك يعلم بريشة نعامة على صدره يتميز بها عن المجاهدين الآخرين لإظهار شخصيته لأعدائه متحدياً لهم غير هياب، ومن شجاعته عندما جاء عمر بن الخطاب وطرق الباب ورأه أحد الصحابة متوشحاً سيفه فأتي فزعاً إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما رأى فقال الحمزة فأذن له فإن كان يريد خيراً بذلناه له،

وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، وكان يوم أحد يهد في المشركين هداً، لا يقف أمامه أحد إلا قتله حتى عندما ضربه وحشي بضربته أقبل نحوه فغلب فوقع ﷺ . انظر: أسد الغابة، ج ١ ص ٥٢٩، والسيرة النبوية، م ١ ج٢ ص ٣٣٥، م ٢ ج ٣ ص ١٣، قادة النبي ﷺ، للواء الركن محمود شيت خطاب، ص ٧٥، وذكر ابن هشام خبر استشهاد حمزة ﷺ. كما ذكر وحشي قال: (كنت غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب ببدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق، قال: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة، فلم أخطئ بها شيئاً فلما التقى الناس خرجت أنظر إلى حمزة أتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هداً، ما يقوم له شيء فو الله إني لأتهيأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجـــر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سبـــاع بن عبد العزى؛ فلما رأه حمزة قال له: هلم إليَّ يا بن مقطعة البظور: فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه. قال: وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه، فوقعت في ثنته، حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق، السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١٣، ١٤، وذكر البخاري خبر مقتل حمزة ﷺ كما حكاه وحشي (خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سِباع فقال: هل من مبارز، قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله ﷺ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب، وقال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعتها في ثُنَّته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: قتل حمزة ابن عبد المطلب ﷺ، رقم الحديث: ٤٠٧٢، وعند ابن عائذ قال وحشي: (فرأيت رجلاً إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت: من هذا؟ قالوا: حمزة، قلت هذه حاجتي) فتح الباري، ج ٧ ص ٤٢٧، وقال ابن إسحاق: كان حمزة يقاتل يومئذ بسيفين فقال قائل: أي أسد هو حمزة! فبينما هو كذلك إذ عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فزرقه ـــ أي رماه ـــ وحشي الحبشي، مولى جبير بن مطعم، بحربته فقتله، أسد الغابة، ج ١ ص ٥٣ .

وسعد بن الربيع وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وأبو بكر وعمر وعثمان وأنس بن النضر، وصد الرماة ﷺ ثلاث هجمات قام بها جيش المشركين فينضحون بالنبل ولا يقع النبل إلا على فرس أو رجل فتولى هاربة، وأنزل الله ــ سبحانه ــ نصره على المؤمنين، وعلى الرغم من استشهاد أسد الله وأسد رسوله الحمزة ﷺ إلا أن الجيش كان متماسكاً مسيطراً على الميدان كله، وقد تفرق المشركون في الجبل وولت نساؤهم الأدبار وأنزل الله نصره على عباده، وسجل الله ذلك بقولـــه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [1] ذكر صاحب فتح الباري عن الطبري عن طريق السدي وغيره أن المراد بالوعد قوله ﷺ للرماة: "إنكم ستظهرون عليهم فلا تبرحوا من مكانكم حتى آمركم" [2] وكانت الدولة أول النهار للمسلمين، قال الزبير بن العوام، والبراء بن عازب: قد رأيتنا ننظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب يرفعن سوقهن حتى بدت خلاخلهن وأنهزم القوم ما دون أخذهن قليل ولا كثير [3].

فأخذ الصحابة يستأصلونهم ويقتلونهم، فوعد الله لهم النصر بشرط التقوى والصبر فلما حققوا ذلك كان النصر الكبير من الله تبارك وتعالى، ويقول الدكتور/ محمد عبد الله دراز: "جيش المسلمين سبعمائة فقط أي أقل من الربع، ومع ذلك فقد اكتسحوا أمامهم الآلاف الثلاثة وأثخنوهم تجريحاً وتقتيلاً ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٢) .

(٢) فتح الباري، ج ٧ ص ٤٠٣ .

(٣) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٨٩، زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ٩٣ .

أي تحشونهم حش الأعشاب وتحصدونهم حصاد الهشيم وتستأصلونهم بإذن الله وتيسيره" [1] .

قال الليث: الحس: القتل الذريع، تحسونهم تقتلونهم قتلاً كثيراً، قال أبو عبيد والزجاج وابن قتيبة: الحس الاستئصال بالقتل، يقال: جراد محسوس، إذا قتله البرد، وسنة حسوس: إذا أتت على كل شيء، ومعنى "تحسونهم" أي تستأصلونهم قتلاً، قال أصحاب الاشتقاق: حسه إذا قتله لأنه أبطل حسه بالقتل [2] .

قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال: ﴿ ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أحد، قال: فأنكر عليه ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى: إن الله ﷻ يقول في يوم أحد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ يقول ابن عباس: والحسن القتل ﴾ [3] وإصابة الحسن قتل النفس، وإزالة عنصر الحياة بإزالة الحسن الذي هو مظهر" [4] .

ويقول ابن إسحاق: (ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها) [5] .

---

(١) زاد المسلم، د/ محمد عبد الله دراز، ص ١٣٢ .

(١) تفسير الفخر الرازي، م ٥ ج ٩ ص ٣٦ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث: ٢٦٠٩، إسناده حسن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٤) خاتم النبيين ﷺ، محمد أبو زهرة، م ٢ ص ٧١٧ .

(٥) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١٩ .

المطلب الثانـــي

طـور التشاغل بالدنيا وجمع الغنائـــم

كان الجيش في الطور الأول من الغزوة يصول ويجول في الميدان وظهورهم محمية بالرماة، فبينما كانت الأمور تسير في طريق حسم نتيجة المعركة لصالح جيش الإسلام حدثت المفاجأة، وهذا ما سأتناوله .

ففي الوقت الذي لاحت فيه بوادر النصر، والجيش المسلم يشتد في قتال المشركين، وتعقبهم، وولت النساء الأدبار، وكان في استطاعة المسلمين أسرهم، وقعت الواقعة المزلزلة، إذ ظن معظم الرماة أن المعركة قد انتهت لما رأوا بعضاً من الجيش يجمع الغنائم، ولكن أمير الرماة "عبد الله بن جبير ﷺ ذكَّرهم بأمر رسول الله ﷺ بالتزام أماكنهم، وأن لا يتركوها إلا بإذنه ﷺ فلم يستجيبوا له، ولم يبق معه من الرماة إلا ما دون العشرة، تلك الفرصة التي كان ينتظرها "خالد بن الوليد" فلما رأى قلة الرماة، انطلق سريعاً بمن معه، وتبعه "عكرمة بن أبي جهل بفرسانه، وأخذت "عمرة بنت علقمة الحارثية" لواء المشركين بعد سقوطه، وكان لا يستطيع أحد رفعه بعد قتل "صُواب" العبد الحبشي فرفعته لقريش فالتفوا حوله، وقام خالد بن الولد، وعكرمة بتطويق جيش المسلمين، وتوالت الشدائد فظهر إبليس ــ عليه لعنة الله ــ في صورة أحد الصحابة وصاح بأن محمداً قد قتل، وأشاع "ابن قمئة" ــ لعنه الله ــ بأنه قتل محمداً .

فيسجل "الزبير بن العوام" ﷺ ما شاهده من نصر مبين أولاً، فأعقبه مشهد الكبوة فيقول: "والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير" ويذكر

المفارقة المزلزلة: إذ مالت الرماة إلى العسكر، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ [1]: ألا إن محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد من القوم [2]، وتصور الشيطان في صورة جُعال بن سراقة وصرخ ثلاث صرخات إن محمداً قد قتل. يقول رافع بن خديج" فكنا أتينا من قِبَل أنفسنا ومعصية نبينا واختلط المسلمون وصاروا يضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون به من العجلة والدهش" [3]، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس ــ لعنة الله عليه ــ: أي عباد الله أُخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمـــان فقال: أي عباد الله، أبي أبي. قال قالت: فو الله ما احتجــزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم. قال عروة فو الله مازالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله ﴾ [4] .

وقول إبليس ــ عليه لعنة الله ــ: أُخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم وهي حكمة تقال لمن يُخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه، وكان ذلك لما ترك الرماة أماكنهم يأخذون الغنائم، فرجعت أولاهم فتقاتلت هي وأخراهم وهم يظنون أنهم من العدو واختلطوا بالمشركين والتبس العسكر فلم يتميزوا وأخذوا يقتل بعضهم بعضاً [5] .

وانفصل الجيش عن القيادة، وانقسم المسلمون إلى ثلاث فرق:

---

(١) قال ابن هشام: الصارخ أزب العقبة، يعني الشيطان. السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١٩

(٢) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١٩ .

(٣) المغازي، للواقدي، ج ١ ص٢٣٢، ٢٣٣ .

(٤) رواه البخاري، كتاب: المغازي، رقم: ٤٠٦٥ .

(٥) انظر: فتح الباري، ج ٧ ص ٤٢٠ .

الفرقة الأولى التي ثبتت:

في ذلك الوقت العصيب الذي تغير فيه سير المعركة لصالح جيش قريش، كان الجيش المسلم منتشراً في الميدان يحول ويجول، فمن الصحابة مَنْ كان بجوار رسول الله ﷺ، ومنهم مَنْ كان على مقربة منه، ومعظم الجيش كان بعيداً عن رسول الله ﷺ، وقد تعددت الروايات فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ، فمنها ما تذكر "طلحة بن عبيد الله"، ومنها ما تذكر "طلحة وسعد بن أبي وقاص"، ومنها ما تذكر "المقداد"، ومنها ما تذكر: تسعة من الصحابة: سبعة من الأنصار، واثنين من المهاجرين، ومنها ما تذكر أحد عشر صحابياً وطلحة، ومنها ما تذكر أربعة عشر، ومنها ما تذكر ثلاثين، "وكل ذلك قد حدث باعتبار اختلاف الأحوال وأنهم تفرقوا في القتال" (١) وإليك التفصيل .

استشهاد مصعب بن عمـــير رضي الله عنه:

كان مصعب يحمل اللواء يوم أحد فضربه ابن قمئة فقتله، "فأعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب فقاتل ورجال من المسلمين" (٢) .

وبايع رسول الله ﷺ يومئذ ثمانية على الموت ثلاثة من المهاجرين، وخمسة من الأنصار: علي والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، ولم يقتل منهم أحد" (٣) .

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٧ .

(٢) انظر: السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١٥ .

(٣) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ١٤٠ بتصرف .

وأفرد ﷺ في تسعة: سبعة من الأنصار، واثنين ممن المهاجرين، فقتل السبعة، وبقى الاثنان ﴾ [1] ولما تكاثر المشركون على رسول الله ﷺ قال ﷺ: ﴿ من رجل يشرى لنا نفسه ﴾ فتقدم زياد بن السكن في خمسة نفر من الأنصار، وبعض الناس يقول: إنما هو عمـــارة بن زياد ابن السكن فقتلوا جميعاً [2]، وفي جولة من الجولات لم يبق معه إلا طلحة وسعد [3] .

أحد يوم طلحة رضي الله عنه:

عندما كان يصعد رسول الله ﷺ [4] الجبل ، كان معه طلحة وأحد عشر رجلاً فلحقهم المشركون، فقال رسول الله ﷺ "ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: كما أنت يا طلحة، فتقدم أحد الأنصار فأذن له فقاتل حتى قتل، وهكذا كلما قتل أحدهم تقدم الآخر حتى استشهدوا جميعاً"، فقال رسول الله ﷺ من لهؤلاء يا طلحة؟ فقال: أنا يا رسول الله، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله، وأصيبت أنامله، فقال: حَسِ، فقال رسول الله ﷺ: "لو قلت: بسم الله، أو ذكرت اسم، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء ثم صعد رسول الله ﷺ

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب: الجهاد، باب: غزوة أحد، رقم الحديث: ١٧٨٩.

(٢) دلائل النبوة، للبيهقي، ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٣) روى البخاري عن معتمر عن أبيه قال: ﴿ زعم أبو عثمان أنه لم يبق مع النبي ﷺ في تلك الأيام التي يقاتل فيهن غيرُ طلحة وسعد عن حديثيهما، كتاب: المغازي، رقم الحديث: ٤٠٦٠، ٤٠٦١ .

(٤) وكان أخطر قرار اتخذه رسول الله ﷺ لحماية جيشه .

إلى أصحابه وهم مجتمعون" [١] .

فقاتل طلحة ﷺ حتى انكشف المشركون عن رسول الله ﷺ [٢] .

فجعل رسول الله ﷺ يقول لطلحة "أنحب [٣] وقد شهد سعد بن أبي وقاص لطلحة فقال: " يرحمه الله إنه كان أعظمنا غِناءً عن رسول الله ﷺ يوم أحد! قيل: كيف يا أبا إسحاق؟ قال: لزم النبي ﷺ وكنا نتفرق عنه، ثم نثوب إليه، لقد رأيته يدور حول النبي ﷺ يُترس بنفسه[٤] .

وقد شُلت يده [٥]، وأثنى الصديق ﷺ على طلحة ﷺ كما روت عنه أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿ كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك كله يوم طلحة ﴾ [٦] .

□

(١) دلائل النبوة، للبيهقي، باب: تحريض النبي أصحابه على القتال يوم أحد، ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) انظر: المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٥٤ .

(٣) النحب: النذر كأنه ألزم نفسه أن يصدق الأعداء في الحرب فوفى به و لم يفسح، لسان العرب، ج ٤٨ ص ٤٣٦٢، أي قضى نذره ووفى وصدق .

(٤) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٥٤ .

(٥) قال قيس بن أبي حازم: ﴿ رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ ﴾ رواه البخاري، حديث رقم: ٤٠٦٣، وشلاء: أي أصابها الشلل وهو ما يبطل عمل الأصابع أو بعضها، وهذا يشمل ما وقع من إصابة السبابة والتي تليها أو الخنصر. انظر: فتح الباري، ج ٧ ص ٤١٨، والمغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٥٤ .

(٦) رواه أبو داود الطيالسي، وابن حبان واللفظ لأبي داود الطيالسي، أحاديث أبي بكر ﷺ، ج ١ ص ٨، رقم الحديث: ٦ .

الرسول ﷺ أمام الأعداء وحـــده:

في الوقت الذي أصيب فيه طلحة بن عبيد الله في يده وفي رأسه وسقط مغشياً عليه، لم يكن أحد من الصحابة بجوار رسول الله ﷺ فقد تولى الله حفظه: "فكان جبريل وميكائيل عليهما السلام عن يمين وشمال رسول الله ﷺ عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال" (١) .

وكان أول من عرف أن رسول الله ﷺ حي هو كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فيقول: عرفته وعيناه تزهران، تضيئا ــ من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ فأشار إليَّ رسول الله ﷺ أن أنصت (٢) .

وكان المشركون أسبق في الوصول إلى رسول الله ﷺ من المسلمين .

ما حدث لرسول الله ﷺ:

عندما انتبه المشركون إلى وجود رسول الله ﷺ استطاع ابن قمئة أن يصل إليه ﷺ فتصدى له مصعب بن عمير، فضرب مصعب فقتله، وكانت أم عمار نسيبة بن كعب قد أتت ومعها ماء لتسقي الناس فلما رأت فرار المسلمين باشرت القتال فضربت ابن قمئة ــ ولكن كان عليه درعان ــ فضربها ضربة أصابتها يجرح عميق (٣) .

---

(١) فعن سعد بن أبي وقاص قال: ﴿ رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وشماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل ﴾ رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد، رقم الحديث: ٢٣٠٦ .

(٢) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٢٤ . (٣) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٢٣ بتصرف .

فُرمي ﷺ بالحجارة، حتى وقع لجنبه في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون، وكسرت رباعيته، ودخلت حلقتان من حِلَق المغفر في وجنتيه، والذين أصابوه ﷺ ثلاثة من المشركين هم: عتبة بن أبي وقاص [١] كسر رباعيته ﷺ اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وعبد الله بن شهاب الزهري [٢] شجه في جبهته، وابن قمئة [٣] جرح وجنته [٤].

وكان أول من فاء إليه ﷺ الصديق رضي الله عنه، فوجد طلحة بن عبيد الله يقاتل عن رسول الله ﷺ، وفي ذلك الوقت كان أبو عبيدة يخَطَفُ المشي إلى رسول الله ﷺ فوجدا النبي ﷺ مصاباً، وقد أغمى على طلحة بن عبيد الله، فأرادا علاج رسول الله ﷺ فأشار إليهما "عليكما بصاحبكما" يريد طلحة، فلم يُلْتَفت إلى قوله من شدة حرصهم على رسول الله ﷺ فأخرج أبو عبيدة منه ﷺ حلقة من حلقتي المغفر فسقطت ثنيته وأخرج الحلقة الثانية فسقطت ثنيته الأخرى، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما [٥] فأخذ علي بن

(١) عتبة بن أبي وقاص: مات كافراً، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٩٤ .

(٢) عبد الله بن شهاب الزهري: أسلم بعد ذلك، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٩٤ .

(٣) دعا عليه رسول الله ﷺ فاقل: "أقمأك الله" فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة، و لم يصنع سيف بن قمئة شيئاً إلا وهن الضربة بثقف السيف ومكث وهنها شراً أو أكثر برسول الله ﷺ، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٩٥ بتصرف .

(٤) الوجنة: أعلى الخد . السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٢١ .

(٥) انظر: صحيح ابن حبان، رقم: ٦٩٨٠، وحكم عليه الشيخ الألباني بأنه ضعيف جداً، وقال الشيخ/ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ج ١٥ ص ٤٣٧، وانظر: مسند أبي داود الطيالسي، وسبق توثيقه ص ٣٤ .

أبي طالب [1] بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائماً، ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده [2] .

فقال رسول الله ﷺ: ﴿ من مس دمي دمه لم تصبه النار [3]. وكان الدم يسيل من وجهه الشريف ﷺ فقال: ﴿ اشتد غضب الله على قوم دَمَّوا وجه نبي الله ﷺ ﴾ [4].

وقال ﷺ أيضاً: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [5].

فقال ﷺ: ﴿ اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون ﴾ [6] وفي صحيح مسلم ﴿ رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾ [7] . فجعلت فاطمة بنت رسول رسول الله ﷺ تغسل الدم، وعلي بن أبي طالب يصب الماء فلما رأت الدم يزيد

(١) وكان قبل ذلك كسر جفن سيفه ثم حمل على القوم لما لم يجد رسول الله ﷺ في القتلى فقال إن رسول الله ﷺ لا يفر ولكن أرى أن الله قد غضب علينا فرفع نبيه ﷺ فمالي خير من أن أقاتل حتى أقتل، فلما أفرج القوم له لشدة قتاله رأى رسول الله ﷺ يقاتلهم، راجع: مسند أبي يعلى، مسند علي بن أبي طالب، إسناده حسن، رقم الحديث: ٥٤٦ .

(٢) ازدرده: ابتلعه . (٣) السيرة النبوية، م عليه السلام ج ﷺ ص ٢١ .

(٤) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: ما أصاب النبي ﷺ من الجرح يوم أحد، رقم الحديث: ٤٠٧٤، ومعنى دَمَّوا: جرحوا . (٥) سورة آل عمران، الآية (١٢٨) .

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ١ ص ٨٧ .

(٧) رواه مسلم، كتاب: الجهاد، باب: غزوة أحد، رقم الحديث: ١٧٩٢، حكاية عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه .

بالماء أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته، بالجرح فانقطع
الدم ﴾ [١] .

فلما فرغوا من علاج رسول الله ﷺ، توجهوا لعلاج طلحة وإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية، فأصلحوا شأنه [٢] فلما أفاق قال: ما فعل رسول الله ﷺ فأجابه الصديق رضي الله عنه خيراً، هو أرسلني إليك، قال: الحمـــد لله كل مصيبة بعده جلل" [٣] .

وممن فاء كذلك إلى رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقد رأى المشركين تكاثروا على رجل فملأ يده من الحصى ثم رمي بها في وجوههم فتراجعوا عنه، فعلوا ذلك مراراً وهو لا يدري من هذا الرجل، وكان بينه وبينه المقداد بن الأسود فنادى عليه المقداد يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك فلما رأه فكأنه لم يصبه أذى، فلما رأه رسول الله ﷺ قال: أين كنت يا سعد فجعل يرمي عن رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يدعو له، ويقول له فداك أبي وأمي، يقول الزهري: إن السهام التي رمى بها سعد يومئـــذ كانت ألف سهم" [٤] .

---

(١) انظر: مسلم، كتاب: الجهاد، باب: غزوة أحد، رقم الحديث: ١٧٩٠ .

(٢) انظر: مسند أبي داود الطيالسي، وسبق توثيقه .

(٣) سبل الهدي والرشاد، ج ٤، ص ٢٩٦، والجلل: الشيء العظيم والصغير والهين، وهو من الأضداد في كلام العرب، ويقال للكبير والصغير، والمراد هنا الأول، لسان العرب، ج ٨ ص ٦٣٣، مادة: جلل .

(٤) انظر: الحاكم في المستدرك، كتاب: المغازي والسرايا، ذكر رمية سعد وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، رقم الحديث: ٤٣٧٠ .

وممن كان حول الرسول ﷺ أبو طلحة رضي الله عنه، وكان رجلاً شديد الرمي، وهو بين يدي رسول الله ﷺ مُترس عليه ليقيه السهام حتى كسر يومئذ في يده قوسين أو ثلاثاً وكلما مر بالرسول ﷺ رجل بكنانته التي بها السهام كان يأمره أن يلقي بها لأبي طلحة، والرسول ﷺ يتابع الموقف وينظر، فكان أبو طلحة يقول له مشفقاً عليه لا تشرف لا يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك فداءً لك [1] وكان ﷺ يباشر القيادة والقتال، وعندما يتكاثر عليه المشركون يقول ﴿ من يردهم عنا وله الجنة، أو وهو فيقي في الجنة ﴾ [2] .

وكان ﷺ يتابع الجيش بدقة. فعندما اشتد أحد المشركين في قتل المسلمين فرماه سعد بسهم فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله ﷺ [3] لأمرين: الأول: لقتل عدوه [4]، والثاني: لأنه اقتص لأم أيمن، فقد جاء في مغازي الواقدي: رمى حِبان بن العِرقة فأصاب بسهم ذيل أم أيمن، وجاءت يومئذ تسقي الجرحى فعلقها [5] فانكشف عنها فاستغرب في الضحك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له فقال: ارم! فوقع السهم في ثغرة نحر حبان فوقع مستلقياً

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب: الجهاد، حديث رقم: ١٨١١ .

(٢) رواه مسلم، كتاب: الجهاد، باب: غزوة أحد، رقم الحديث: ١٧٨٩ .

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص، رواية في حديث رقم: ٢٤١٢، قد أحرق المسلمين أي أثخن فيهم وعمل فيهم عمل النار، صحيح مسلم، هامش رقم (١)، ج ٤ ص ١٨٧٦ .

(٤) انظر صحيح مسلم ملخص شرح النووي، ج ٤ ص ١٨٧٧ .

(٥) علقها: أصابها .

وبدت عورته، قال سعد: فرأيت رسول الله ﷺ ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه، ثم قال: استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك وسدد رميتك" (١) .

والفرقة الثانية: هي التي فرت وتحيرت لما سمعت شائعة مقتل رسول الله ﷺ فكان أمام كل واحد منهم أمران: أن يدفع عن نفسه، أو أن يستمر في القتال حتى يقتل. وهم أكثر الصحابة رضي الله عنهم، فلما علموا أن رسول الله ﷺ حي أقبلوا عليه، وعندما رأته ﷺ أتوا إليه فرادى وجماعات ، والرسول ﷺ يصعد الجبل .

ثم وصل ﷺ القيادة بالجيش وعادت له السيطرة والتحكم في الجيش مرة أخرى بصعوده أُحد ﷺ، ولكن عندما أراد صعود الجبل لم يستطع من جراحاته وقد كان يلبس درعين، "فبَرك طلحة ابن عبيد الله تحته فصعد رسول الله ﷺ على ظهره، حتى جلس على الصخرة" (٢)، وأخذ يدعو أصحابه إليه، وعندما أشيع قتل رسول الله ﷺ حدث إحباط عند كثير من الصحابة وقعدوا، فقال لهم البعض من الصحابة وهم أصحاب الحب الإيماني (٣): إن كان رسول الله ﷺ قد قتل فقاتلوا على ما قتل عليه، فقاتلوا عن دينكم فإن الله حي لا يموت، ومن هؤلاء الصادقين "أنس بن النضر" لما رأى فرار المؤمنين، وما فعله المشركون قال: "اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع

(١) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ٦٩٧٩، وقال الألباني: حسن، الصحيحة، ٩٤٥، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، صحيح ابن حبان، ج ١٥ ص ٤٣٦ .

(٣) صاحب هذه التسمية الشيخ/ محمد الصادق عرجون في كتابه: محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة .

هؤلاء: يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، قال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن ــ أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية ﴾ (١) .

وقد مر بقوم قعود فسألهم: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ قال فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم جالد بسيفه حتى قتل، فقال عمر بن الخطاب إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده يوم القيامة" (٢) .

ومنهم خارجة بن زيد بن أبي زهير مر عليه مالك بن الدُخشم، وهو في جراحاته التي خلصت إلى مقتل، فقال: أما علمت أن محمداً قد قتل، قال خارجة: فإن كان قد قتل فإن الله حي لا يموت فقد بلغ محمد فقاتل عن دينك" (٣) .

وأما الفرقة الثالثة: فهي التي فرت حتى وصلت إلى المدينة وهم

(١) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله ﷻ: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رقم الحديث: ٢٨٠٥، قول :"كنا نرى أو نظن شك من الراوي وهو: حميد وكأن التردد فيه من حميد ، ووقع في رواية ثابت: وأنزلت هذه الآية بالجزم، انظر: فتح الباري، ج ٦ ص ٢٨، ٢٩ .

(٢) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

قليل ولقيتهم أم أيمن وهم منهزمون، فقالت لهم وهي تحثو التراب في وجوههم: هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك" [١] وقال بعض منهم: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان [٢].

واستطاع الرسول ﷺ بمن معه وكانوا مستقتلين من شق صفوف المشركين حتى وصلوا جبل أحد، وقتل كثير من الصحابة في تنفيذ هذه المهمة الشاقة، الأمر الذي خفف من هجوم المشركين، وما إن رأى كعب بن مالك رسول الله ﷺ ونادى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله، وصيحة كعب لم يصدقها أكثر جيش قريش وحسبوها لشد العزائم ولكن البعض اندفع وراء رسول الله ﷺ، وصحابته فاندفع "أبي بن خلف" يبحث عن محمد على حد قوله، ويقول: لا نجوت عن نجا، وكان قد افتدي من أسرى بدر فلما رجع إلى مكة علف فرساً ليقتل عليها محمداً، كما قال، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك، قال: بل أنا أقتله إن شاء الله" [٣] .

وقيل كان يقول ذلك للنبي ﷺ بمكة قبل الهجرة فادرك النبي ﷺ وهو في الشعب، فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ :دعوه فلما دنا منه، تناول رسول الله ﷺ الحربة من "الحارث بن الصمة"، يقول بعض القوم، فيما ذكر لي [٤] فلما أخذها

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٢٩١ .

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي،ج ٢ ص ٣٣٥، الناشر: دار الفكر، بيروت .

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة، باب: سباق خروج النبي ﷺ إلى أحد، ج ٣ ص ٢١٢ بتصرف .

(٤) المقصود به ابن إسحاق: أي فيما ذكر لابن إسحاق .

رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها، قال "ابن هشام": الشعراء: ذباب له لدغ. ثم استقبله فطعنه في عنقه تدأدأ منها عن فرسه مراراً، قال ابن هشام تدأدأ ، يقول: تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج ... فلما رجع إلى قريش وقد خدش في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد، قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فو الله لـــو بصق عليَ لقتلني، فمـــات عدو الله بسرف [1] وهم قافلون به إلى مكة [2] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ اشتد غضب الله على من قتله نبي، واشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ ﴾ [3] .

وحاول خالد بن الوليد القيام بهجوم عندما وصل بفرسانه قريباً منهم "فقام المسلمون بهجوم مضاد، واستطاعوا صد قواته، وذهبت كل محاولات قريش للقضاء على المسلمين أدراج الرياح، إذ تجمع المسلمون حول النبي ﷺ، وأصبحوا تحت قيادته، بعدما كانوا متفرقين لجمع الغنائم أولاً، ونتيجة لصدمة المباغتة التي أجراها خالد بن الوليد بالتفافه حول قواتهم وضربها من الخلف ثانياً" [4] .

وحاولت قريش يائسة مما رات من صلابة الصحابة القيام بمحاولات للهجوم، ولكن وجدت نفسها تلاقى بَردٍ يُرجعها، قال ابن إسحاق" فبينا رسول الله ﷺ بالشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه إذ

(١) سرف: مكان على ستة ميال من مكة .

(٢) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٢٤، ٢٥ .

(٣) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، رقم الحديث: ٤٠٧٦ .

(٤) الرسول القائد، ص ١٨٣ .

علت عالية من قريش الجبل، قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد، قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: "اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا: فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل" (١) .

النعـاس يغشي المخلصين:

عادت للمسلمين بعد هذه المحنة الشديدة القوة والسيطرة والأمن والسكينة كما كانت في الطور الأول بصدق الصادقين وعودة من أراد الدنيا إلى إرادة الآخرة وتوحدت القلوب تحت قيادة الرسول الكريم ﷺ فبعد ما أصابهم من قرح كانوا بجوار الرسول ﷺ وقاتلوا دونه ورأى الله منهم الخير، أنزل الله النعاس (٢) على المخلصين الصادقين، يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ (٣) .

يقول تعالى ممتنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة، بالنعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم، والنعاس في تلك الحال دليل على الأمان ... وقال ابن مسعود: "النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان" (٤) وذلك لأنه في القتال لا يكون إلا عن الوثوق بالله تعالى والفراغ من الدنيا، ولا يكون في الصلاة

---

(١) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٢٦ .

(٢) النعاس: النوم، وقيل مقاربته .. قال الأزهري: وحقيقة النعاس: السِّنَةُ من غير نوم، لسان العرب، مادة نَعِس، ج ٤٩ ص ٤٤٧٣، والنعاس: هو النوم الخفيف أو أول النوم، التحرير والتنوير، ج ٤ ص ١٣٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٤) .

(٥) تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤١٨ .

إلا في غاية البعد عن الله تعالى [1] .

فعن أنس عن أبي طلحة قال: ﴿ "رفعت رأسي يوم أحد، وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته [2] من النعاس" ﴾ [3] ويقول أيضاً أبو طلحة: ﴿ غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه ﴾ [4] .

﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله ﷻ سينصر رسوله وينجز له مأموله ولهذا قال: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف [5] . يقول أبو طلحة ﷺ "والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هَمٌّ إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق" [6] .

قريش تمثل بالشهداء:

قامت قريش بعمل قبيح وهو التمثيل بالقتلى من المسلمين ببقر

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣٦١ .

(١) التُّرْسُ الصغير يُطارَق بين جلدين، المصباح المنير، ص ١٢٢ .

(٣) رواه النسائي والحاكم والترمذي واللفظ له، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، وقال: هذا حديث حسن صحيح، رقم: ٣٠٠٧.

(٤) راوه البخاري، كتاب: التفسير، باب: أمنة نعاساً، رقم الحديث: ٤٥٦٢ .

(٥) تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤١٨ .

(٦) رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، وقال الترمذي هذا هذا حديث حسن صحيح، رقم: ٣٠٠٨ .

البطون وقطع الآذان وجدع الأنوف، فعلوا ذلك بكل القتلى عدا حنظلة بن أبي عامر، لأن أباه كان معهم. فلما مر أبو عامر على ابنه وهو مقتول إلى جنب حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش .... نادى: يا معشر قريش ــ حنظلة لا يُمثل به وإن كان خالفني وخالفكم، فلم يأل لنفسه فيما يرى خيراً .....، وكانت هند أول من مثل بأصحاب النبي ﷺ وأمرت النساء بِالْمَثل ــ جدع الأنوف والآذان، فلم تبق امرأة إلا عليها مِعْضدان (١) ومَسَكَتَان وخدمتان (٢) .

أبو سفيان يسارع بإنهاء المعركة:

أمام بسالة وشجاعة جيش رسول الله ﷺ "بلغ الإعياء برجال قريش حداً بالغاً وفشلت محاولاتهم المتكررة للقضاء على المسلمين نهائياً فقررت قريش إنهاء القتال (٣) فقد رأت أن جيش المسلمين عادت إليه معنوياته وإرادته القوية التي يمكن أن تعيد نتيجة الجولة الأولى فأشرف "أبو سفيان" فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، لو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: أعل هبل. فقال النبي ﷺ: أجيبوه قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، قال أبو سفيا: يوم بيوم بدر والحرب

(١) المعضد: الدملج، والمسك السوار من الذبل، والخدمة: الخلخال، هامش المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٧٤ .
(٢) المغازي، للواقدي، ج١ ص ٢٧٤ .

سجال، وتجدون مُثلة لم آمر بها ولم تسؤني ﴾ [1]. فقد كان راضياً، ومسروراً بها .

"ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل نعم هو بيننا وبينك موعد" [2] .

الرسول ﷺ يأمر بمراقبة قريش:

عندما انصرف أبو سفيان بجيش قريش أمر رسول الله ﷺ علياً، وتطوع سعد بن أبي وقاص لمتابعة جيش قريش، وأخبرهم رسول الله ﷺ بأن قريشاً إن امتطوا الإبل وجنبوا الخيل فهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة "والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم، ثم لأناجزنهم، قال علي فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة" [3] . وجاء سعد بن أبي وقاص بتقريره أيضاً فقال: وجدت الخيل مجنوبة فطابت أنفس المسلمين [4] .

الرسول ﷺ يؤدي الصلاة قاعداً:

صلى الرسول ﷺ الظهر يوم أحد قاعداً لما أصابه من جراحات وصلى المسلمون خلفه قعوداً [5] .

---

(٣) الرسول القائد، ص ١٨٣ . (١) رواه البخاري، كتاب: المغازي، حديث رقم: ٤٠٤٣ .

(٢) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٢٣ . (٢) المرجع السابق، م٢ ج٣ ص ٣٣، ٣٤ .

(٤) فتح الباري، ج ٧ ص ٤٠٢ .

(٥) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٢٧ .

المسلمون يتفقدون القتلى والجرحى:

لما توجه جيش المشركين إلى مكة طابت نفوس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم بثيابهم، ولم يصلوا عليهم، وبكى المسلمون على قتلاهم [١] وكان رسول الله ﷺ يقول وهو يدفنهم: ﴿ أنا شهيد على هؤلاء ﴾. فعن "عبد الرحمن بن كعب بن مالك" أن جابر بن عبد الله ﷺ أخبره: ﴿ أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا ﴾ [٢] .

وكان من بين الشهداء "الحمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاع أرضعتهما "ثويبة" مولاة "أبي لهب" ومعهما "أبو سلمة"، وقد مثل به المشركون، ووجده رسول الله ﷺ ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومُثل به فجدع أنفه وأذناه، فحدثني "محمد بن جعفر" أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: (لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب، وقال ابن هشام: لما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليَّ من هذا! ثم قال: جاءني "جبريل" فأخبرني أن "حمزة

---

(١) فتح الباري، ج ٧ ص ٤٠٢ .

(٢) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: من قتل من المسلمين يوم أحد، رقم الحديث: ٤٠٧٩ .

بن عبد المطلب" مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله" (١) .

فأنزل الله ﷻ ذلك من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾ (٢). فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثلة (٣) .

الرسول ﷺ يسأل عمن أصيب:

كان رسول الله ﷺ يدير المعركة ويراقب بدقة الجنود، فقد رأى إصابة سعد بن الربيع، فيروي الحاكم والبيهقي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وابن إسحاق عن شيوخه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات، فإني رأيت اثنى عشر رمحاً شَرْعي إليه، فقال رجل من الأنصار ــ قال محمد بن عمر: هو محمد بن سلمة وقال أبو عمر ــ هو أبي بن كعب ــ فنظر في القتلى فناداه ثلاثاً فلم يجبه، فقال: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر إلى خبرك فأجابه بصوت ضعيف، وفي حديث زيد: فبعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب "سعد بن الربيع"، وقال: إن رأيته فأقرأه مني السلام، وقل له كيف تجدك؟ قال فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت إن رسول الله أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ فقال: أنا في الأموات، فأبلغ عني رسول الله السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله تعالى عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وقل له: إني أجد ريح الجنة، وأبلغ قومك عني

(١) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٣٥ .

(٢) سورة النحل، الآيتان (١٢٦، ١٢٧) .

السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم إنه لا عذر لكم عند الله إن يُخلص إلى رسول الله ﷺ ومنكم عين تطرف ثم لم يبرح أن مات، فجاء رسول الله ﷺ فأخبره خبره ﴾ (١) .

الرسول ﷺ يثني على ربـــه:

بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء، ركب فرسه وحوله المسلمون وفيهم الجرحى وقد استشهد سبعون من خيرة صحابته فيهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وغسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، وعبد الله بن جحش. وبعد الشدائد التي تعرض لها ﷺ وإصاباته يقدم المثل الأعلى في العبودية لله تبارك وتعالى فيأمرهم بالاستواء ليقدم الثناء على رب العالمين فهو سبحانه أهل الثناء والمجد .

فعن "رفاعة بن رافع الزرقي" رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما فرغ من دفن أصحابه ركب فرسه، وخرج المسلمون حوله، عامتهم جرحى ولا مِثل لبني سلمة ولا لبني عبد الأشهل، ومعه أربع عشرة امرأة، فلما كانوا بأصل أحد قال: ﴿ اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل، فاصطف الرجال خلفه صفوفاً خلفهم النساء، فال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت، اللهم أبسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم أنا نسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إنا نسألك النعيم يوم العَيلة، اللهم إنا نسألك المن يوم الخوف والغنى يوم الفاقة

(١) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٣٥ .

(٢) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣٢٦ .

[1] اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، ومن شر ما منعتنا،، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق آمين ﴾ [2] .

إن هذا الدعاء ليس أهلاً له إلا رسول الله محمد ﷺ ففي كل كلمة منه وفي كل حرف فيه ينبعث من اليقين المستقر في قلب عبده الأول في العبودية، فإن الابتلاء يزيده تألقاً وسمواً في علاقته بربه، أما الذين يعبدون الله على حرف تهزهم مثل هذه الأحداث. وبأسلوب رائع يقول الشيخ/ محمد الغزالي رحمه الله: "هذه دعوات قلب ينسكب اليقين من كل حرف فيها، فإن الهزيمة قد تكسر أفئدة الذين يعبدون الله على حرف، فأما الذين فنوا في الله وباعوه نفوسهم وأموالهم، فإن عبوديتهم تتألق في السراء والضراء، وهم يسلمون لله ما أراد، ويخضعون لحكمه، وذاك سر الكلمة الرقيقة الغالية التي قالها الرسول لصحبه [3] بعد الطور الثاني من غزوة أحد استووا حتى أثنى على ربي عز وجل" [4] .

□

(٣) تكملة من الامتاع، ١/ ١٦٢، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣٣٣ هامش (١) .

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي في كتاب: عمل اليوم والليلة، والحاكم وقال على شرط الشيخين، وأقره الذهبي ومحمد بن عمر الأسلمي، سبل الهدى والرشاد، ج٤ ص ٣٣٣ .

(٣) فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ١١٧ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب: المغازي والسير، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، رقم الحديث: ٤٣٠٨ .

المطلب الثالث

طور العودة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ

اضطر أبو سفيان إلى سرعة إنهاء المعركة، وطلب موعداً للقاء القادم ببدر بعد عام، وسارع بالانسحاب بجيشه ــ دون تحقيق أهدافه، مكتفياً بما فعله من قتل سبعين رجلاً من صحابة رسول الله ﷺ، ولم يستطع القضاء على جيش المسلمين ــ على الرغم من الفرصة التي سنحت له ــ ولم يستطع تأمين طرق تجارتهم "بل أنهى المعركة بما يشبه الفرار" (١) .

"ولكن رسول الله ﷺ لم ينه المعركة بعد، بدليل أنه ﷺ بعد رجوعه إلى المدينة ــ كان لواءه مازال معقوداً لم يحل من الأمس" (٢) .

فكان الطور الثالث من غزوة أحد، وهو تمام المعركة كما وصفه الشيخ/ محمد أبو زهرة (٣)، وصفحة من صفحات غزوة أحد وتتمة لها . كما عند الشيخ/ صفي الدين المباركفوري (٤) وطور من أطوار غزوة أحد كما يقول الدكتور "محمد عبد الله دارز": "أما يوم أحد فقد تطور الموقف فيه أطواراً ثلاثة" (٥) وأنه مرحلة من المراحل فيقول: "أكثر الناس لا يعرفون في غزوة أحد إلا هاتين المرحلتين، وهذا هو ما يفسر شعور

(١) خاتم النبيين، م ٢ ص ٧١٩ .

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٤٤٠ .

(٣) انظر كتاب: خاتم النبيين، م ٢ ص ٧١٨ .

(٤) الرحيق المختوم، ص ٢٨٧ .

(٥) زاد المسلم للدين والحياة، ص ١٣١ .

الحزن والأسى الذي يقترن في نفوسهم بذكرى هذه الموقعة لأنها في نظرهم انتهت بكارثة، هؤلاء يسقطون من حسابهم جولة لا يقدرها حق قدرها إلا من عرف ما للشدائد والمحن في صهر النفوس وشحذ العزائم، ورفع الروح المعنوية في الجيوش القوية الإيمان السليمة الكيان" [1] .

قريش تفيق من سكرتها في الطريق:

عندما انصرف المشركون، وهم في الطريق تلاوموا فقالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ارجعوا. فسمع بذلك رسول الله ﷺ [2] وقالوا أيضاً: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكتهم وحدهم ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ [3] فأراد أبو سفيان الرجوع إلى المدينة ولكن صفوان بن أمية نصحه بعدم الرجوع وقال له: لا تفعلـــوا فإن القوم قد حربوا [4] وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا [5] .

المدينة في طوارئ واستنفار:

عندما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة قام الصحابة بحراسة بيت رسول الله ﷺ، خوفاً من كرة العدو، ولما أذن بلال لصلاة الفجر، وفي انتظار خروج رسول الله ﷺ للصلاة أتى عبد الله بن عمرو بن عوف

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٢) سبل الهدى والرشاد، ص ٤٣٨.

(٣) زاد المعاد، م١ ج٢ ص ١٠٨ .

(٤) حربوا: أي غضبوا، انظر: معجم مقاييس اللغة، ج ٢ ص ٤٨ .

(٥) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٤٢ .

المُزني وأخبر رسول الله ﷺ بما سمع من أبي سفيان وأصحابه بشأن المشاورة بينهم في الرجوع إلى المدينة، وأن صفوان بن أمية يأبى ذلك .

الرسول ﷺ يشاور أبا بكر وعمر رضي الله عنهما:

لما علم رسول الله ﷺ بخبر قريش ــ وكان لواءه مازال معقوداً لم يحل ــ دعا أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأخبرهما بخبر المُزني. قالا: يا رسول الله اطلب العدو ولا يَقْحُمون الذرية، فلما انصرف من صلاة الفجر ندب الناس وأمر بلالاً أن ينادي في الناس إن رسول الله ﷺ يدعوكم في طلب العدو ولا يخرج معنا إلا من كان بالأمس (١) .

واستأذن رجال ممن لم يشهدوا الغزوة بالأمس أن يخرجوا فرفض ﷺ وأراد "عبد الله بن أبي بن سلول" الخروج، فقال رسول الله ﷺ: لا. ولم يأذن لأحد ممن لم يشهد الغزوة بالأمس إلا "لجابر بن عبد الله"، وكان أبوه قد خلفه على بنات له صغار واستشهد في أحد بالأمس فاستأذن رسول الله بالخروج فأذن له، فيقول جابر: فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيره (٢) .

وما إن سمع الصحابة نداء بلال إلا وثبوا إلى سلاحهم، وما عرجوا على دواء جراحاتهم (٣) ولبوا النداء على الرغم مما كان فيهم من جراحات، ورد فعلهم كان: السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ، فهذا "أسيد بن خضير يخرج وبه تسع جراحات، فلما سمع المنادي ترك مداوة

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٤٣٨، ٤٣٩ .

(٢) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٤٤٠، وكان عدد الجيش في حمراء الأسد ستمائة وثلاثون .

(٣) المرجع السابق، ص ٤٣٩ .

(٣) انظر: المرجع السابق، ج٤ ص ٤٣٩ .

الجروح وقال: سمعاً وطاعة لله ورسوله، وبخراش بن الصمة عشر جراحات، وبالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً، وبكعب بن مالك بضعة عشر جرحاً، وبقطبة بن عامر تسع جراحات [1] . ومن شدة الجراحات كان الأيسر جرحاً يحمل الأشد .

ومن النماذج العظيمة رجل من أصحـــاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان [2] شهد أحداً مع رسول الله ﷺ قال: "شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ، وقال ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحاً، فكان إذا غلب حملته عُقبَة [3]، ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون" [4] .

دعا رسول ﷺ بلوائه وأعطاه "لعلي بن أبي طالب"، وقيل "لأبي بكر الصديق" رضي الله عنهما وخرج ﷺ بجراحاته إلى المسجد فركع ركعتين والناس قد احتشدوا فدعا بفرسه على باب المسجد، وتلقاه طلحة رضي الله عنه وقد سمع المنادي ليعرف متى يسير رسول الله ﷺ، ولبس رسول الله ﷺ لأمته، فقال يا طلحة، سلاحك فقلت قريباً، قال طلحة: فأخرج أعدو فألبس درعي وآخذ سيفي وأطرح درقتي في صدري، وأن بي لتسع جراحات ولأنا أهم بجراح رسول الله ﷺ مني بجراحي، ثم أقبل رسول الله ﷺ على طلحة فقال: تُرى القوم الآن؟ قال هم بالسيالة [5] قال رسول الله ﷺ

(٢) وكان كل بني عبد الأشهل أصابهم الجراح، المغازي، للواقدي، ج١ ص ٣٣٤ .

(٣) عُقبَة: من الاعتقاب في الركوب .

(٦) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٤٠ .

(٥) السَّيالة: أرض يطؤها طريق الحاج قيل: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، معجم البلدان، ج٣ ص ٢٩٢ .

ذلك الذي ظننت، أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا [١] وكان الدليل إلى حمراء الأسد [٢] ثابت بن ثعلبة الخزرجي [٣] .

الرسول ﷺ يرسل مجموعة استطلاع:

أرسل الرسول ﷺ مجموعة مكونة من ثلاثة أفراد لاستطلاع قوات جيش قريش وهم: "سليط بن سفيان بن خالد بن عوف بن دارم"، وأخوه "نعمان" من بني سهم، والثالث من أسلم من بني غوير لم يسم، فأسرع الاثنان، وتأخر الثالث، فلحقا القوم بحمراء الأسد ولهم صوت وهم يأتمرون بالرجوع وصفوان ينهاهم فرأوا الرجلين فمالوا عليهما فقتلوهما، فلما وصل المسلمون إلى مكانهما بحمراء الأسد دفنوهما في قبر واحد [٤]

ومن الواضح أن قريشاً قد دب فيهم الرعب، وعندما لحق بهم الرجلان، وقتلوهما أدركوا أن جيش المسلمين في إثرهم، فأسرعوا السير. تجنباً لمعركة أخرى لا يعرفون عواقبها .

ووصل الرسول ﷺ بجيشه إلى حمراء الأسد وعسكروا بها وأمر الجيش أن يجمع الحطب نهاراً، ثم يشعلوا النار ليلاً، كل رجل يوقد ناراً فلقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رؤيت من مكان بعيد، وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم في كل وجه، وكان ذلك مما كبت الله به عدوهم، ففعلوا ذلك السادس عشر من شوال من العام الثالث من الهجرة واستمروا الاثنين والثلاثاء والأربعاء [٥] .

---

(١) المغازي، للواقدي، ج١ ص ٣٣٧ .

(٢) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة. معجم البلدان، ج٢ ص ٣٠١ .

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد، ج٤ ص ٤٤١ .

(٤) انظر: المغازي، ج١ ص ٣٣٧ .

(٥) سبل الهدى والرشاد، ج٤ ص ٤٤٢ بتصرف .

الرسول ﷺ يرسل برسالة شديدة لقريش:

كانت قبيلة خزاعة موضع عيبة نصح لرسول الله ﷺ [1] بتهامة، وهذا اتفاق بينه ﷺ وبينهم، لا يخفون عنه شيئاً كان بها، فمر برسول الله ﷺ "معبد بن أبي معبـــد الخزاعي" ـــ وكان يومئذ مشركاً ـــ فواساه ﷺ فيما حدث، "قال يا محمد: أما والله لقد عز علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم [2] فأسلم، فيذكر "ابن هشام" أن معبد ذهب ولقي أبا سفيان بالروحاء [3] ويذكر ابن القيم أن رسول الله ﷺ أمر معبداً بالذهاب إلى أبي سفيان ليخذله فلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، وقد أجمعوا على الرجوع للقضاء على البقية الباقية منهم لاستأصلهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله يتحرقون [4] عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق [5] عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويحك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فو الله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك ... فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه" [6].

فاشتد أبو سفيان في الرجوع سريعاً ومن معه خشية أن يلحق به رسول الله ﷺ فقد رأى في ختام الطور الثاني من أسود الإسلام سداً

---

(١) عيبة نصح لرسول الله ﷺ: أي موضع سره . (٢) السيرة النبوية، م ٨ ج٣ ص ٤٠ .

(٣) الروحاء: موضع بالقرب من حمراء الأسد وهذه على طريق المدينة ـــ مكة، الرسول القائد، ص ١٨٤ .

(٤) يتحرقون: يلتهبون من الغيظ . (٥) الحنق: شدة الغيظ .

(٦) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٤٠، ٤١ .

منيعاً لن يستطيعوا أن يصيبوا منهم شيئاً آخر .

أبو سفيان يرسل بالتهديد:

أراد أبو سفيان أن يخيف جيش رسول الله ﷺ فبعث برسالة إلى المسلمين بأن أبا سفيان قد تجهز ليستأصل بقيتهم وحَّمل هذه الرسالة ركباً مر به من عبد القيس وعلم أنهم يريدون المدينة للميرة نظير أجر من الزبيب، قال لهم: "فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله ﷺ وهم بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قاله أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل" (١) .

وبعد ‘قامة الجيش المسلم ثلاثة أيام في حمراء الأسد، ولم تجرأ قريش على الرجوع، خوفاً من الهزيمة. عاد الرسول ﷺ، ومن معه إلى المدينة المنورة بنعمة من الله وفضل ولم يمسهم سوء .

المطلب الرابع

ما يستفاد من غزوة أحد

أسفرت غزوة أحد على العديد من الأمور التي تفيد المسلم في كل زمان وإلى أن تقوم الساعة، ومن أهم هذه الأمور ما يأتي:

١ ــ للنصر خطوات وضعها القرآن الكريم، عندما يطبقها المسلم يتحقق له النصر بإذن الله، وهي:

أ ــ الإيمان بالله سبحانه . ب ــ الإعداد المادي والمعنوي .

جـ ــ وضوح الهدف من القتال وهو إعلاء كلمة الله تعالى،

(١) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٤٢ .

فيقـــول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [1] .

د ــ التفويض لله والثقة فيه والاعتماد عليه وحده [2] فقد صدقهم الله وعده وتمكنوا من عدوهم، ولاحت علامات النصر. ولكن عندما ظن كثير من الرماة أن المعركة قد انتهت، ومن الجيش من يطارد الأعداء ومنه من يأخذ الغنائم فتركوا أماكنهم فتغير سير المعركة لصالح الأعداء .

٢ ــ تطبيق مبدأ الشورى، وهو من المبادئ العظيمة في الإسلام ومحله في الأمور التي لا يتبين فيها وجه الحق، لكي يقدم كل فرد خلاصة فكره فيما يطلب الرأي فيه لمصلحة العباد والبلاد، وبعد ذلك يتخذ ولي الأمر القرار، يقول تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [3] وقد كان رأي الأغلبية مخالفاً لما رآه ﷺ الأمر الذي جعله يتخذ قراره بالموافقة عليه، ومن الذين كانوا على رأي رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول، فهي موافقة في الرأي، مخالفة في السبب والعلة، فقد ارتأى عبد لله بن أبي ابن سلول عدم الخروج ليكتفي أمر القتال أو خطره حرصاً على الحياة وإيثاراً لها على إعلاء كلمة الله، والرسول ﷺ كان يراعي في حروبه التي كانت كلها دفاعية قاعدة ارتكاب أخف الضررين، رحمة بالناس وإيثار للسلام، وتعزز رأيه بالرؤيا التي رأها وقد كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ولكنه

(١) سورة النساء، الآية (٧٦) .

(٢) انظر: القرآن في شهر القرآن في خطوات النصر، ص ١٦٢ ــ ١٦٦ .

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٩) .

على هذا كله عمل برأي الجمهور من أصحابه إقامة لمبدأ الشورى الذي أمره به الله سبحانه، وهو لم يخالف بذلك قاعدة ارتكاب أخف الضررين بل جرى عليها، لأن مخالفة الجمهور ولو إلى خير الأمرين هضم لحق الجمهور وإخلال بأمر الشورى التي هي أساس الخير كله، وإنما كان يكون المكث في المدينة خيراً من الخروج إلى العدو في أحد لو لم يكن مخلاً بقاعدة الشورى كما هو ظاهر" (١) .

٣ ــ الثبات في الشورى على ما رآه الجمهور من الصحابة ﷺ وعدم التردد، وذلك تعليم وتربية للصحابة ولمن يأتي من بعدهم إلى قيام الساعة، أن ولي الأمر يطبق مبدأ الشورى، وبعد إصدار القرار لا يتردد فيه لرغبة أو طلب من أصحاب الرأي "جمهور الأمة" لما لذلك من آثار سلبية .

٤ ــ ظهور تمييز المنافقين عملياً وبأنفسهم لأنهم عنصر خبيث مدمر للأمة .

لقد ظهر المنافقون في المدينة، وأخبر الله رسوله ﷺ بصفاتهم ولكن كان معظمهم متخفياً، فأتت غزوة أحد فظهروا على الحقيقة، وفي وقت كان الجيش في أمس الحاجة إليهم إلا أنهم تركوا المؤمنين ورجعوا متعللين بأنهم لو علموا أن هناك قتالاً لاتبعوهم، ولما للنفاق من خطر كبير على الأمة، فضحهم الله فتركوا رسول الله ﷺ ليرى المؤمنون ماذا فعل المنافقون، وما الهدف من فعلهم .

٥ ــ احترام الأسباب فقد جعل الله لكل شيء قدراً وسنناً، من

(١) تفسير المنار، م ٢ ج ٤ ص ٨٠، ٨١ بتصرف .

احترمها أفلح في الدنيا وارتقى، ومن لم يحترمها خسر وضعف وهلك، فقد خطط رسول الله ﷺ للمعركة وأعد لها عدتها وظاهر بين درعين، وشدد الحراسة على الجيش، وتستفيد الأمة من هذا أن تتحرى الأسباب، وتلتزم بها التزاماً كاملاً .

٦ ــ رحمته ﷺ بالمنافق المجاهر بعدائه، فلم يأخذ بقتله بل رحمه وعذره، بخلاف ما كان عليه العرب وغيرهم من عدم التزام الدقة في صون الدماء، وكذلك عدم قتل من رجع من المنافقين مع عبد الله بن أبي بن سلول .

٧ ــ أن المؤمن يعطي عدوه فرصة الظهور عليه بمخالفته، فإن الطاعة تستر المؤمن وتجعله قوياً، أما المعصية فتضعفه، فلم يكن لخالد بن الوليد ظهور على جيش رسول الله ﷺ فلم يستطع أحد من المشركين أن يظهر على المسلمين في الطور الأول من أُحد، لكن عند المعصية وجدنا خالداً يظهر هو وعكرمة ويتم تطويق جيش المسلمين، فإن ستر المؤمن التزامه بالإسلام فإذا خرج عن شيء منه ظهر عليه عدوه [1]، يقول الله ــ تعالى ــ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [2] .

٨ ــ عظمة الرسول الكريم ﷺ في إدارة الغزوة من أولها إلى آخرها بالتخطيط السريع المتوالي وإصدار الأوامر لمن حوله ثم العمل جاهداً على اختراق صفوف الأعداء والصعود عليه بمن حوله ﷺ وحمى التسعين في المائة من جيشه بهذا العمل الذي لا نظير له في الدنيا .

(١) انظر: تفسير الشيخ/ الشعراوي، ج ٣ ص ١٧٣٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢٦) .

٩ ــ بياناً عملياً لمحبة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ تجلى في الأبطال الذين أحاطوا به ﷺ أفراداً أو جمعاً وقد استماتوا في الدفاع عن رسول الله ﷺ ومن أبرزهم طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأبو طلحة، ومصعب بن عمير، والمقداد وغيرهم .

١٠ ــ ظهور أثر من آثار عبوديته السامية ﷺ والذي هو على قمتها وذلك في جمع الصحابة للثناء على الله سبحانه، يظهر فيه اليقين الكامل والتسليم والرضا منه ﷺ إنه يحمد الله الحمد كله، ويبرز أن ما حدث فيه حكم لله يعلمها، والاستعاذة من شر ما أعطى ومن شر ما منع، فقد يكون الشر في العطاء وقد يكون المنع ألماً في الحاضر وخيراً فيما يستقبل، ثم الدعاء على المشركين ويلحق بهم كفار أهل الكتاب أن ينزل الله بهم بأسه، إن هذا الدعاء جانب من دعاء رسول الله ﷺ الذي يجعل الإنسان يشعر كما قال الشيخ" محمد الغزالي" بأنه: "أمام فن من الدعاء ذاهب في الطول والعرض لم يؤثر مثله عن المصطفين الأخيار، إن الإنسان بين يدي رسول الله ﷺ تتوه نفسه وتتبهر وهو يدعو ويدعو" [(١)] .

١١ ــ تجلي اليقين الكامل عند من أصابهم النعاس، وعند من كانوا على مشارف الموت، تمثل هذا في سعد بن الربيع الذي وجد ريح الجنة وهو في أرض المعركة قبل الوفاة بوقت قصير، وكذلك أنس بن النضر رضي الله عنه.

١٢ ــ بيان عظم منزلة رسول الله ﷺ فنزول البلاء والجراحات بالأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ تعظيم أجر لهم، وزيادة درجاتهم،

(١) فن الذكر والدعاء عند خاتم النبيين، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ٨ .

وليقتدي بهم أتباعهم .

١٣ــ اتخاذ شهداء من صحابة رسول الله ﷺ، فقد استشهد سبعون صحابياً رضي الله عنهم .

١٤ــ هل كانت النتيجة لهذه المعركة هزيمة؟

هناك الكثير من كتاب السيرة والمغازي يعدون ما حدث في الطور الثاني من أحد هزيمة ولكن في الحقيقة أنها كما سماها القرآن مصيبة وسماها قرحاً جراحات، فيقول الله سبحانه: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ (١)، ويقول تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ (٢)، ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ (٣) والجروح تصيب المقاتلين ولا تعد في قانون الحرب هزيمة، إنما الهزيمة أن يولوا الأدبار ويفروا فراراً (٤) وحتى نصل إلى النتيجة النهائية لهذا الطور من أحد نناقش المعركة من الناحية العسكرية .

من الوجهة العسكرية البحتة: "لقد انتصر المسلمون في ابتداء المعركة حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم، والإحاطة بنسائهم وأموالهم وتعفير لوائهم بالتراب، ولكن التفاف خالد وراء المسلمين وهجوم المشركين من الأمام، جعل قوات المشركين تطبق على قوات المسلمين.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٦٥) .

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٤٠) .

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٧٢) .

(٤) خاتم النبيين، م٢ ص ٧٢١ .

وهذا الموقف في المعركة جعل خسائر المسلمين تتكاثر، ولكن بقي النصر بجانبهم إلى الأخير، ذلك لأن نتيجة المعركة لا تقاس من الناحية العسكرية بعدد الخسائر في الأرواح فقط، بل تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوي، وهو القضاء المبرم على العدو مادياً ومعنوياً .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً؟

إن حركة خالد بن الوليد كانت مباغتة للمسلمين بلا شك، وقيام المشركين بالهجوم المضاد وإطباقهم على قوات المسلمين وهم متفوقون بالعدد بنسبة خمسة أمثال المسلمين، كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجه القضاء المبرم على كل قوات المسلمين، ولا يمكن أن يعد التفاف قوة متفوقة فواقاً ساحقاً على قوة صغيرة أخرى من جميع جوانبها، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد إعطاء خسائر عشرة في المائة فقط من موجودها إلا انتصاراً لتلك القوة الصغيرة بدون أدنى شك .

وقد أخفقت القوة الكبيرة في القضاء على القوة الصغيرة، وهذا يعد نصراً، ولم تستطع هذه القوة لقريش أن تؤثر على الروح المعنوية للمسلمين بدليل خروج جيش المسلمين في اليوم التالي لملاقاة جيش قريش، ولم يستطع جيش قريش الرجوع مرة أخرى خوفاً من الهزيمة [1] لقد استطاع رسول الله ﷺ أن يشق طريقه وسط جيش الكفار، ويصعد الجبل، ويصد هجمات قريش، ويجعل جيش قريش ييأس من القضاء على جيش المسلمين، وقد سنحت له الفرصة، مما دفع قريشاً إلى أن تسارع في إنهاء المعركة، والانسحاب من الميدان، وقد حَولت قيادة رسول الله ﷺ

(١) الرسول القائد، ص ١٨٦، ١٨٧ بتصرف .

الهزيمة إلى نصر" [1] .

"إن نجاح المسلمين في الخروج من تطويق المشركين بخسائر نسبتها عشرة في المائة من قواتهم القليلة يعتبر نصراً لهم" [2] .

والنتيجة بعد هذه المناقشة:

يذكر الخبير العسكري اللواء الركن "محمود شيت خطاب ": "أن نتيجة معركة أحد نصر تعبوي للمشركين على المسلمين، ولكنها فشل سوقي للمشركين، ولا يعد النصر التعبوي شيئاً يذكر إلى جانب الفشل السوقي [3] وصدق الله العظيم: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [4] .

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٣ .

(٣) التعبية: الأعمال العسكرية في المعركة، أو هي الأعمال العسكرية التي تؤثر على سير معركة واحدة، والسوق: هو الاستفادة من المعارك للحصول على الغرض من الحرب، أو هو الأعمال العسكرية التي تؤثر على سير الحرب كلها ... ومن ذلك يتضح أن السوق يعني نتائج الحرب كلها؛ بينما التعبية تعني نتائج معركة واحدة محلية. الرسول القائد، ص ١٩٣ .

(٤) سور آل عمران، الآيات (١٣٨ ــ ١٤٢) .

ثم أيضاً إن المشركين لم يأسروا أحداً من المسلمين، ولم يحتلوا أرضاً منهم، ولم يداهموا المدينة المنورة، إذن النتيجة النهائية لهذا الطور من أُحد ليست نصراً حاسماً، وإنما كان قد بدأ النصر من صعوده ﷺ والقلة التي كانت معه جبل أُحد وإحكام السيطرة على قواته، واختار للمرة الثانية المكان المناسب لجيشه ــ كما فعل ﷺ ــ في الطور الأول من غزوة أُحد، فأصبح في مكان عال، وبذلك يعود الاستقرار وتنفيذ الخطة المرسومة للقتال" (١) .

شهـادة خبير عسكــري:

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: "وأشهد أنني لم أقرأ في تاريخ الحرب لكل الأمم موقفاً صعباً يائساً كالذي كان فيه المسلمون يوم أحد فاستطاع الرسول ﷺ بقيادته الفذة أن يتخلص من هذا الموقف الصعب، وينقذ قواته من فناء أكيد، ثم يعيد إليها ثقتها بنفسها ويعيد إليها قوتها المادية والمعنوية بشكل لم يسبق له نظير وخلال فترة زمنية محدودة جداً" (٢) .

١٥ــ عدم لوم أحد من الصحابة ﷺ .

على الرغم مما حدث في الطور الثاني من أحد لم يقدم رسول الله ﷺ لوماً لأحد من صحابته الذين تسببوا في هذا وهم معظم الرماة، ولم يخطر بباله أن يحاكم أحداً من المقاتلين لأخطاء وقعت، بل كان همه في الميدان أن يسترد الموقف لأصحابه وتعود لهم الروح المعنوية وترتفع،

(١) انظر كتاب: الرسول القائد، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٦١ .

وأن يقفوا ولا يخروا صرعى أمام أعدائهم [1] .

١٦ــ حرص الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على رسول الله ﷺ وعلى المدينة، فقد باتت المدينة المنورة في حالة استنفار وطوارئ فذهب رجال من الصحابة لحراسة بيت رسول الله ﷺ، وقيام آخرون بحراسة المدينة خشية أن تعود قريش لمهاجمة المدينة، وكذلك عندما سمع عبد الله بن عمرو بن عوف المُزني أبا سفيان ومن معه يتشاورون في أمر الرجوع إلى المدينة وهو مقبل من أهله في موضع يسمى "ملل" [2]، فلم يتأخر عبد الله في إبلاغ رسول الله ﷺ بهذا الخبر .

١٧ــ حِرص رسول ﷺ الشديد: فعلى الرغم من تأكده من انصراف جيش قريش عن طريق علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص فقد أرسل قوات مقاتلة قوامها سبعون رجلاً من أعظم الأبطال في أثر المشركين لتأمين المدينة، وقال ﷺ ﴿ من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً ﴾ [3] .

وقال ابن حجر: "كان فيهم أبو بكر وعمر وعلي وعمار بن ياسر وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعبيدة وحذيفة وابن مسعود" [4] .

١٨ــ الاستفادة السريعة للصحابة من درس الكبوة ــ فقد شدهوا

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٢٢ بتصرف يسير .

(٢) ملل: اسم موضع في طريقة مكة بين الحرمين، وقال ابن السكيت: منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة، معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٩٤ .

(٣) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: الذين استجابوا لله والرسول، رقم الحديث: ٤٠٧٧ .

(٤) فتح الباري، ج ٧ ص ٤٣٢، ٤٣٣ .

لما حدث من معظم الرماة ومن مباغتة جيش المشركين لهم، وقد استردوا معنوياتهم عندما تأكدوا من حياة الرسول الكريم ﷺ فأبلوا بلاءً حسناً لمرضاة الله سبحانه، فلما نادى بلال رضي الله عنه بالخروج إلى حمراء الأسد لمطاردة قريش لبوا سراعاً وقد اجتمعت القلوب منهم جميعاً على إرادة الآخرة، وخرجوا بجراحاتهم وهم الذين حضروا بالأمس طوري غزوة أحد .

١٩ــ ارتفاع الروح المعنوية لجيش رسول الله ﷺ وإكمال ما ختم به الطور الثاني في أحد من تألق وثبات واستعداد للعودة لما كان في الطور الأول، فعندما جاءتهم رسالة أبي سفيان بالتهديد لم تزدهم إلا إيماناً وقالوا ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [1]. ويرجع الفضل في ذلك إلى الله أولاً، ثم إلى رسول الله ﷺ .

٢٠ــ إعلان العرب عند حمراء الأسد، ومن حولهم ــ بتمركز الجيش المسلم وإدخال الرعب والفزع قلوب جيش قريش فأقام الجيش المسلم ثلاثة أيام: الاثنين والثلاثاء والأربعاء وأوقد كل فرد في الجيش ناراً بالليل طوال هذه المدة لتعلم القبائل بجيش المسلمين .

ومن آيات الله للمؤمنين أن ألقى الرعب في قلب أبي سفيان وفي جيشه منذ صعد رسول الله ﷺ أمامهم، وليس معه إلا القليل من الصحابة الكرام ثم تتابع الصحابة في المجيئ إليه ﷺ على أحد .

٢١ــ عدم الاستعانة بمن ينخذل من المسلمين، فقد رفض رسول الله ﷺ، أن يخرج معه زعيم المنافين عبد الله بن أبي بن سلول ومن

(١) سورة آل عمران، الآية (١٧٣) .

انخذل معه، وهذا درس للأمة بأن من يتخلى عن الأمة وقت الشدائد لا تسمح له بالخروج معها بعد ذلك لشدة خطره .

٢٢ــ ظهور المعدن الأصيل لخزاعة عندما علموا بما وقع للصحابة خلال فترة الكبوة ومواساة معبد بن أبي معبد لرسول الله ﷺ .

٢٣ــ عدد القتلى من الجانبين: لقد استشهد من المسلمين سبعون صحابياً وهذا هو القول الراجح، خمسة وستون من الأنصار، ورجل من اليهود، وأربعة من المهاجرين .

أما على جانب الكفار فإن كتب السيرة تذكر أنهم اثنان وعشرون ومنهم ابن إسحاق [١]، ولكن عند التحقيق نجد أن العدد، ليس كما ذكر ابن إسحاق اثنين وعشرين، وليس كما ذكر صاحب الرحيق المختوم سبعة وثلاثين [٢]، ولكن العدد أكثر من هذا، حيث إن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قَتَلَ وحده قبل قتله واحداً وثلاثين رجلاً، و(قزمان) المنافق قتل ثمانية أو سبعة كما ذكر بن إسحاق، فأين من قتلهم أبو دجانة، وطلحة وأبو طلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن النضر، وغيرهم. إن الأغلب يرجع ثمانية وثلاثين أو تسعة وثلاثين ، ولكن العدد أزيد مما ذكر .

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، م ٢ ج ٣ ص ٦٤ .

(٢) الرحيق المختوم، ص ٢٨٤ .

المبحث الثالث

آثار غزوة أحـــد

كانت غزوة أُحد الدرس الثاني من دروس الجهاد في الإسلام بعد غزوة بدر ٢هـ، وتلك الدروس التي تنتهي بغزوة العسرة (غزوة تبوك) ٩هـ، ومن خلال هذه الدروس بنى الإسلام المنهج الكامل للجهاد في سبيل الله سبحانه (حالة الحرب) [١]، ويجب على الأمة أن تسلك هذا المنهج الذي شرعه لها الله ــ سبحانه ــ وقام بتنفيذه رسول الله ﷺ والمسلمون معه، والدرس الثاني غزوة أحد كان فيه النصر، فالمحنة، فالعودة إلى القوة مرة أخرى، وكما قال ابن إسحاق: "كان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته" [٢] .

وتمخضت عنها آثار كثيرة متنوعة وهذه الآثار هي:

المطلـــب الأول

الآثار السياسيـــة لغزوة احد

أدركت قريش أن الدولة الناشئة في المدينة أخذت تزداد قوة بمضي الوقت، وثبت هذا في غزوة بدر حيث انتصر المسلمون عليها نصراً حاسماً، وكان الصراع بين دولة قريش وبين رسول الله ﷺ قد بدأ

(١) هو ما شرعه الإسلام في حالة الحرب، وما يحل وما يحرم في القتال، وما بعد توقف القتال من صلح أو استسلام، وما يتعلق بالأمان، والأسرى .

(٢) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٤٣ .

بالهجرة المباركة إلى المدينة المنورة، فعملت قريش بكل ما تملك لهدم هذه الدولة والقضاء عليها وفي المقام الأول قائدها رسول الله ﷺ، لقد سلكت كل السبل من مؤامرات ثم بدأت الهجوم في بدر، وخسرت خسائر هائلة، قتل منها سبعون من صناديدها وأسر مثلهم، وسقطت هيبتها، وأحست بالخطر، فجهزوا للغزوة الثانية وهي غزوة أحد، ولم تحرز في هذه الغزوة شيئاً غير أنها أصابت بعضاً من ثأرها، بل وعادت القوة إلى جيش المسلمين في نهاية الطور الثاني، ورأى أبو سفيان أن ينهي المعركة من جانب واحد، ولم ينهها رسول الله ﷺ، ولم ينتظر أبو سفيان بجيشه خشية الهزيمة التي كانت ستحل بهم في حال انتظاره، إن ما حدث لجيش المسلمين من محنة في الطور الثاني نتيجة عدم التزام الرماة الأوامر المشددة من رسول الله ﷺ لهم مكنت خالد بن الوليد بخيله هو وعكرمة بن أبي جهل من محاصرة جيش المسلمين، واستطاع رسول الله ﷺ أن يشق طريقاً وسط جيش قريش إلى أن صعد على هضبة جبل أُحد ثم استعاد السيطرة والتحكم في جيشه بعد وقت عصيب مر به ﷺ وبجيشه.

إن ما حدث من قتل سبعين من الصحابة والجروح التي نالت من رسول الله ﷺ وجيشه، أثَّرَ ذلك على هيبة الدولة فأغرى الكثير من القبائل وسكان كثير من المناطق المجاورة بالتفكير في مهاجمة المدينة المنورة ونهب خيراتها، إلا أن القائد العظيم ﷺ وهو المسئول عن هذه الدولة قد خطط وأحكم الخطة لمحو آثار ما حدث وقد استمر هذا الجهد سنة كاملة حتى بدر الآخرة أو بدر الموعد من السنة الرابعة، فأعد خطط الاستخبارات وخطط القتال فأرسل السرايا وقاد الغزوات بنفسه ﷺ، وما إن يعلم ﷺ بأن قوماً أو أناساً يتجهزون لمهاجمة المدينة إلا ويساعر

بإرسال قوات لمباغتتهم، وهم يتجهزون، وقد دبرت قريش وغيرها لاغتيال رسول الله ﷺ، ولكن الله حفظه ﷺ .

وعلى الرغم مما فعله المسلمون بحمراء الأسد من مطاردة المشركين إلا أنه لم يكن كافياً لمحو آثار ما حدث تماماً، فقد جرأ عليهم أعراب البادية، وفتحت باب الأمل في الإغارة على المدينة، وانتهاب خيراتها، كما أن اليهود عالنوا بسخريتهم، وتركوا وساوس الغش تلح عليهم وتكدر سيرتهم مع المسلمين (١) .

فقــد كان للمسلمين أعداء داخلياً وخارجياً غرضهــم واحد وهو القضاء على الدولة المسلمة .

فبدءً من سرية بني أسد إلى بدر الموعد والمسلمون يعملون على إزالة آثار ما حدث، في الطور الثاني من أُحد وببدر الموعد فقد محى كل أثر سيء لمعركة أحد داخل المدينة وخارجها على حد سواء (٢) .

فخارجياً: كانت هناك جهتان كل منهما تتحرك للقضاء على الدولة الفتية:

الجهة الأولى: قريش "أخذت تشن حرباً دعائية ضد المسلمين لتظهر نتائج أُحد بمظهر يرفع من قيمتها ويحط من قيمة المسلمين .

الجهة الثانية: القبائل المجاورة فهم يستخذون للأقوياء فيوادونهم ويسالمونهم، ويبطشون بالضعفاء بطشاً لا هوادة فيه ولا رحمة" (٣) .

---

(١) فقه السيرة، ص ٢٨٤ .

(٢) الرسول القائد، ص ٢١٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠١ بتصرف .

وداخليا: كان يوجد جهتان تعملان للقضاء على المسلمين فإن لم تستطيعا ذلك عملا على الإضعاف .

الجهة الأولى: اليهود:

وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا كما أخبرنا الله عنهم في محكم آياته، فبعدما كانوا لا يظهرون ما في نواياهم إذ بهم يظهرونها إثر غزوة أحد .

الجهة الثانية: المنافقون:

وقد تبين للمسلمين خبثهم وكيدهم قبل معركة أحد بانخذالهم بقيادة زعيمهم عبد الله ابن أبي بن سلول، وبعدها عندما يرون الخطر يحدق بالمسلمين، فكان على القائد ﷺ أن يخطط لمواجهة كيدهم، وكان مع رسول الله ﷺ الرجال العظام الذين مُحِصوا في أُحد، وشهد الله لهم بالإيمان والإخلاص حتى يعيد الرسول ﷺ الهيبة للدولة المسلمة، ويحميها .

فخارجياً: قام رسول الله ﷺ ببعث العديد من السرايا والقيام بعدة غزوات:

١ ـ سرية أبي سلمة إلى بني أسد:

فقد دعا "طُليحة وسلمة ابني خويلد" قومها لمحاربة رسول الله ﷺ، ومهاجمة المدينة، فقالا: "نسير إلى محمد في عقر داره، ونصيب من أطرافه، فإن لهم سرحا يرعى جوانب المدينة، ونخرج على متون الخيل فقد أرجعنا خيلنا، ونخرج على النجائب المخبورة، فإن أصبنا نهبا لم نُدرك، وإن لاقينا جمعهم كنا قد أخذنا للحرب عُدتها، معنا خيلٌ ولا خيل معهم، ومعنا نجائب أمثالُ الخيل، والقوم منكوبون، قد أوقعت بهم قريش

حديثاً فهم لا يَستَبِلّون دهرا ولا يثوب لهم جمع" [١] .

وعندما علم رسول الله ﷺ بما عزموا عليه من مهاجمة المدينة [٢] عقد اللواء لأبي سلمة ﷺ في مائة وخمسين مقاتل وتوجهوا من فورهم لمباغتة الأعداء فنزلوا ببني أسد "فجراً" فلم يستطيعوا الثبات وولوا الأدبار ورجع أبو سلمة بالغنائم إلى المدينة المنورة منتصراً مظفراً وكان ذلك في المحرم من السنة الرابعة من الهجرة [٣] .

٢ ـ سرية عبد الله بن أنيس أو دورية عبد الله بن أنيس:

علم رسول الله ﷺ أن خالد بن سفيان الهذلي، وكان قد نزل عُرَنة [٤] يحشد الجموع لمهاجمة المدينة، أرسل له عبد الله بن أنيس ﷺ وزوده بأوصافه ليقتله، فخرج من المدينة لخمس خلون من المحرم واستمر في هذه المهمة ثماني عشرة ليلة، وتمكن من قتل "خالد بن سفيان الهذلي"، وتفرقت الحشود التي كان قد جمعها لمهاجمة المدينة المنورة وعاد عبد الله بن أنيس ﷺ إلى المدينة يوم السبت لسبع بقين من المحرم [٥] .

---

(١) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٣٤١، ٣٤٢ .

(٢) كان الهدف مهاجمة المدينة ونهب الأموال، والأخير سوف أتناوله في الآثار الاقتصادية إن شاء الله تعالى ص ٧٠ .

(٣) الرسول القائد، ص ٢٠٤ بتصرف .

(٤) عُرَنة: واد بحذاء عرفات، معجم البدلان، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٥) فقه السيرة، ص ٢٨٤، والرسول القائد، ص ٢٠٣، الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج ٢ ص ٢٤٦، ٢٤٧ .

٣ ـ سريـة الرجيـع [١]:

كان رسول الله ﷺ يرسل السرايا إما للقتال أو لجمع المعلومات عن الأعداء، أو للمهمتين معاً، ومن الأخيرة سرية الرجيع، في نصف صفر في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة [٢].

ذكر ابن إسحاق "أن سبب بعث هذه السرية قدوم وفد من عضل والقارة من الهون ابن خزيمة بن مدركة، فقالوا يا رسول الله: إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام" [٣] .

وذكر الواقدي أن سبب البعث ليكونوا عيوناً إلى مكة ليخبروه خبر قريش وطلب عضل والقارة من يعلمهم الإسلام والقرآن [٤] .

وذكر الإمام/ البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿ بعث رسول الله ﷺ سرية عيناً وأمَّرَ عليها عاصم بن ثابت ﴾ [٥] .

وقد جمع الزرقاني في شرح المواهب بين الروايات فقال: ويجمع بأنه لما أراد بعثهم عيوناً فوافق مجيئ النفر في طلب من يفقههم، فبعثهم للأمرين [٦] .

---

(١) الرجيع: ماء لهذيل قرب الهدأة بين مكة والطائف بين مكة وعسفان بناحية الحجاز، معجم البلدان، ج ٣ ص ٥٩، شرح الموهب، ج ٢ ص ٤٧٥ .

(٢) جوامع السيرة، لابن حزم، ص ١٧٦ .

(٣) السيرة النبوية، م ٢ حج ٣ ص ٩٧، ٩٨ .

(٤) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٣٥٤ .

(٥) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الرجيع، رقم الحديث (٤٠٨٦) .

(٦) شرح الزرقاني على المواهب، ج ٢ ص ٤٧٧ .

ومن حيث العدد: ذكر ابن إسحاق والواقدي أنهم ستة، والبخاري أنهم عشرة موافقاً لقول ابن سعد في الطبقات، وهذا ليس اختلافاً ولا تفاوتاً لاحتمال أن يكون رجال السرية الأصليين ستة نفر، والأربعة المكملون للعشرة كانوا أتباعاً فلم يذكرهم ابن إسحاق، واكتفى البخاري بذكر عدد من كانوا في السرية إجمالاً [١] .

وكان أمير حـــرب السرية عاصم بن ثابت، وأمـــير التفقيه في الدين مرثـــد بن أبي مرثد [٢] .

فلما كانوا بين عسفان ومكة، ذُكروا لحي من هذيل: وهم بنو لحيان فمن أجل مقتل زعيمهم خالد بن سفيان الهذلي، على يد عبد الله بن أنيس بتكليف من رسول الله ﷺ، لأنه كان يحشد لمهاجمة المدينة كما سبق ذكره، فخرج بنو لحيان في مائتي رجل بينهم مائة رماة، فلما رأوا أثر التمر عرفوا أنهم من المدينة فتتبعوا أثرهم حتى لحقوا بهم فلما رأهم أصحاب رسول الله ﷺ لجئوا إلى رابية جبل مرتفعة، واتخذ قائدهم الحربي قرار القتال فعرض المشركون عليهم أن ينزلوا ولهم العهد والميثاق، فقال عاصم بن ثابت: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك، فاستجاب الله لعاصم، فأخبر رسوله ﷺ خبرهم فأخبر أصحابه بذلك يوم أصيبوا، فقاتلهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة من أصحابه، ونزل ثلاثة منهم على عهد هؤلاء، فلما نزلوا وتمكنوا منهم ربطوهم: خبيب بن عدي، وزيد بن الدِثِنَّة، وعبد الله بن طارق، فلما رأى ذلك عبد الله بن طارق قال هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فقتلوه، وأما

(١) محمد رسول الله منهج ورسالة، ج ٤ ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

خبيب، وزيد فباعوهما لقريش لتأخذ منهما بثأرها القديم [1].

٤ ـ غـزوة بدر الآخـرة (بدر الموعد):

كان قد استدار العام، وقام النبي ﷺ بغزوات شتى أرهبت القبائل المعتدية، وأدخلت الرعب في قلوبها وجعلت من وقفوا في طريق الدعوة عندما يسمعون بجيش المسلمين يولون الأدبار على رؤوس الجبال "وحق لرسول الله ﷺ وصحبه أن يخرجوا لمواجهة أبي سفيان وقومه، وأن يديروا رحى الحرب كرة أخرى حتى يستقر الأمر لأهدى الفريقين وأجدرهما
بالبقاء" [2] .

وكان ذلك الموعد الذي أخبر به أبو سفيان عند منصرفه أو إن شئت فقل عند فراره وجيشه من غزوة أحد، فوافق عليه رسول الله ﷺ، وأرسل أبو سفيان في هذا الوقت (بدر الموعد) رسالة فيها تخويف وترهيب للمسلمين، وحملها رجل إلى المسلمين يخبرهم أن قريشاً قد جمعت جيشاً لا قبل لأحد من العرب به، وذلك للقضاء على المسلمـين، ولا يعد ما تم في أحـد إلى جانبه شيئاً، فلم يكترث بـذلك رسول الله ﷺ وقال: والذي نفسي بيـده لأخرجن وإن لم يخـرج معي أحد .

وخرج ﷺ في ألف من صحابته، إلا أن أبا سفيان كان يفكر في عاقبة القتال لما رأى من بأس جيش المسلمين، وأن قريشاً قد هُزمت في

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الرجيع، رقم الحديث (٤٠٨٦) .

(٢) فقه السيرة، ص ٢٩٣ .

بدر، وفي الطور الأول من أُحد، ولم تنتظر ولم تأت حمراء الأسد فما إن وصل في أكثر من ألفين من المشركين قريباً من مر الظهران، حتى دعاهم إلى الرجوع متعللاً بأن هذا العام جدب فرجعوا، ولكن رسول الله ﷺ ذهب إلى بدر وأقام فيها ثمانية أيام [١]، وكان يقام في بدر سوق كبير تجتمع فيه العرب ثمانية أيام فأخذ المسلمون معهم بضائع وتجارات وباعوا ما كان معهم وربحوا للدرهم درهماً [٢] .

وكانت قريش تشيع في العرب أنها هزمت جيش المسلمين هزيمة شديدة، فأقبل رجل من بني ضمرة على رسول الله ﷺ ببدر ــ وهو الذي حالف رسول الله ﷺ على قومه بني ضمرة في غزوة رسول الله ﷺ الأولى إلى ودان [٣] فقال والناس مجتمعون في سوقهم وأصحاب رسول الله ﷺ أكثر أهل الموسم: "يا محمد لقد أُخبرنا أنه لم يبق منكم أحد فما أعلمكم إلا أهل الموسم، فقال رسول الله ﷺ ليرفع ذلك إلى عدوه من قريش: ما أخرجنا إلا موعد أبي سفيان وقتال عدونا، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد، ثم جالدناكم قبل أن نبرح من منزلنا هذا. فقال الضمري [٤]: بل نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحلفك .

(١) الرسول القائد، ص ٢١١، والمغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٨٤، الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ٥٦ .

(٣) غزوة ودان: هي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ وكانت في صفر من العام الثاني من الهجرة. السيرة النبوية، م ١ج ٢ ص ١٦٦ .

(٤)مَخْشى بن عمرو. المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٣٨٨ .

وكان معبد بن أبي معبد الخزاعي [1] مقيماً ثمانية أيام بالموسم وسمع بذلك ورأى أصحاب رسول الله ﷺ فانطلق سريعاً إلى مكة وكان أول من قدم بخبر موسم بدر، فسألوه فأخبرهم بكثرة أصحاب محمد، وأنهم أهل ذلك الموسم، وما سمع من قول رسول الله ﷺ للضمري، وقال لأهل مكة: وافى محمد في ألفين [2] من أصحابه، وأقاموا ثمانية أيام حتى تصدع أهل الموسم، فقال صفوان ابن أمية لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترأوا علينا وراوا أنا قد أخلفناهم، وإنما خلفنا الضعف عنهم [3] .

ثم عاد ﷺ إلى المدينة وقد محا كل أثر سيء من آثار أحد داخل المدينة وخارجها [4] .

وبعث رسول الله ﷺ بعد بدر الموعد ثلاث سرايا: **الأولى**: على رأسها عمر بن الخطاب إلى قبيلة القارة، فتهاربوا واعتصموا بالجبال وعاد ولم يلق كيداً، **والثانية**: على رأسها بلال بن مالك المزني إلى بني مالك بن كنانة فنذروا به فلم يصب من دارهم إلا فرساً واحداً .

والثالثة: أمَّرَ عليها بشير بن سويد الجهني إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة فاعتصموا في غيضة فأحرقهم فلامه رسول الله [5] .

---

(٤) وكان حاضراً موسم بدر وسمع قول رسول الله ﷺ للضمري .

(٢) وذكر صاحب سبل الهدى أن العدد الف وخمسمائة، واللواء ركن محمود شيت خطاب، ذكر أن العدد ألف، سبل الهدى، ج ٤ ص ٤٧٨، والرسول القائد، ص ٢١١ .

(٣) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٣٨٩ .

(٦) انظر: الرسول القائد، ص ٢١٢ .

(٥) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٧٧، ٧٨ .

غـزوة المريسيع ـ بني المصطلق [١]:

شارك بنو المصطلق ــ وهم من خزاعة الأزدية اليمانية، مع قوات قريش في معركة أُحد، وقد تجرأ بنو المصطلق فيمن تجرأ من الأعراب على المسلمين، فأخذ زعيمهم الحارث بن أبي ضرار في جمع السلاح والرجال من بني المصطلق والقبائل المجاورة للهجوم على المدينة، ولما علم رسول الله ﷺ بذلك أرسل عيناً ليتثبت له من ذلك، فجاءه بتوكيد الخبر، فتجهز رسول الله ﷺ وخرج في سبعمائة مقاتل وثلاثين فرساً يوم الاثنين الثاني من شعبان سنة خمس من الهجرة وتوجه نحو بني المصطلق، روى البخاري ومسلم ــ رحمهما الله ــ عن ابن عمر رضي الله عنهما ﴿ أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقي على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ﴾ [٢] . فأخذهم على غرة .

وذكرت موسوعة نضرة النعيم: أنه لم تصح رواية في عدد القتلى ومقدار السبي والأموال سوى ما ذكره ابن إسحاق من عتق [٣] مائة أهل بيت من بني المصطلق [٤] في حين يذكر الواقدي بأنه قد قتل عشرة من

---

(١) بنو المصطلق: بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء وكسر اللام وبعدها قاف وهم بطن شهير من خزاعة وهو المصطلق بن سعيد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر، ويقال إن المصطلق لقب واسمه جذيمة، فتح الباري، ج ٥ ص ٢٠٣ .

(٢) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب: الجهاد، باب: جواز الإغارة على الكفار، رقم الحديث: ١١٢٩ .

(٣) نضر النعيم، ج ١ ص ٣٢٠، ٣٢١ .

(٤) السيرة، م ٢ ج ٣ ص ١٩٧ .

بني المصطلق وأسر سائرهم فما أفلت منهم إنسان [1] ووقعت "جويرية بنت الحارث" في سهم "ثابت بن قيس بن الشماس" أو لابن عـــم له [2] فكاتبته على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، قالت: قد فعلت، وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما أيديهم، قالت عائشة رضي الله عنها فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها [3] .

أما على الجانب الداخلي: فيوجد اليهود، والمنافقون، وقد بدأ سعي المنافقين من مقدمه ﷺ إلى المدينة، فقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في الكيد لرسول الله ﷺ ولأصحابه وخذلان دينه وإخماده مدلة طويلة [4] والتعاون بينهم وبين المشركين واليهود حتى جاء الحق بالنصر وظهر الدين على الرغم منهم وصدق الله سبحانـــه: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [5] .

إن النفاق سوس المجتمع، ولا تنجح أمة يسودها المنافقون، وإن

(١) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٤١١ .

(٢) عند الواقدي، في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، ج ١ ص ٤١١ .

(٣) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١٩٧ .

(٤) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٦١ بتصرف .

(٥) سورة التوبة، الآية (٤٨) .

ساندتهم ثروات طائلة وأسر كبيرة [١] وستظهر العلاقات الوثيقة مع اليهود وكانت لهم صلات بقريش بإطلاعهم على أخبار المجتمع المسلم في المدينة.

أما اليهود، فقد عقد رسول الله ﷺ وثيقة [٢] المدينة معهم لهم دينهم وللمسلمين دينهم، ولما نصر الله المسلمين في بدر ورجع ﷺ جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً، قالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وإنك لن تلق مثلنا [٣] فأنزل الله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ [٤]، وكان اليهود حول المدينة ثلاث طوائف: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وأول من أظهر البغي والحسد ونقضوا العهد يهود بني قينقاع فحاصرهم رسول الله ﷺ فأخرجهم من المدينة [٥] ولما كانت غزوة أحد تعانقت رسالة رسول الله موسى عليه السلام مع رسالة أخيه رسول الله محمد ﷺ، ففي شدة أحد قال مخيريق ــ وهو من بني ثعلبة بن الفطيون ــ: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم سبت، قال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء،

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص ١٥١ .

(٢) وثيقة المدينة: هي المعاهدة التي عقدها الرسول ﷺ مع اليهود في المدينة بعد هجرته ﷺ إليها .

(٣) تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٣٥٠ . (٢) سورة آل عمران، الآية (١٢) .

(٥) انظر: زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ٧١، والسيرة النبوية، م ١ ج ٢ ص ٣٠٧ .

ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: (مخيريق خير يهود) [1] .

غـزوة بني النضير [2]:

ذهب رسول الله ﷺ إلى بني النضير ليستعين بهم على ديـة القتيلين من بني كلاب [3] ذهب يوم السبت فصلى في قباء ومعه عشرة

---

(١) السيرة النبوية، م٢ ج٣ ص ٢٩ .

(٢) النضير: اسم قبيلة من يهود الذين كانوا بالمدينة وكانوا هم وقريظة نزولاً بظاهر المدينة في حدائق وآطام، معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٩٠، وكانت منازلهم بناحية الغرس بقباء، وبها بئر غرس، كان رسول الله ﷺ يستطيب ماءها، المرجع السابق، ج ٥ ص ١٩٣، ومنازلهم التي غزاهم النبي ﷺ فيها تسمى وادي بطحان، المرجع السابق، ج ٥ ص ٢٠٩، وهو أحد أودية المدينة الثلاثة: العقيق وبطحان وقباء، المرجع السابق، ج ١ ص ٤٤٦ .

(٣) قتلهما عمرو بن أمية الضمري ظناً منه أنه أخذ بثأر أصحابه الذين قتلهم الطفيل بن عامر ومن معه من عصية ورعل وزكوان، كان قد أرسلهم رسول الله ﷺ عندما قدم عليه أبو براء عامر بن مالك المدعو ملاعب الأسنة وطلب من رسول الله ﷺ من يأتي يدعو أهل نجد إلى الإسلام، فأرسل رسول الله ﷺ في صفر من العام الرابع للهجرة سبعين من صحابته، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم، وكانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ويشترون به الطعام لأهل الصفة، فلما وصلوا بئر معونة من أرض بني عامر ومرة وبني سليم === === على بعد ١٦٠ كيلو متر من المدينة بعثوا حرام بن ملحا أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ فلم ينظر إليه، وأمر رجلاً بقتله فقال فزت ورب الكعبة، ثم استنفر بني عامر لقتال الباقين فرفضوا رعاية لجوار أبي براء، وأجابته عصية ورعل وزكون، فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار، فرفع من بين القتلى، واستشهد يوم الخندق، وكان عمرو بن أمية والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين، فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة فذهبا فوجدا الشهداء من الصحابة ﷺ،فأما المنذر فقاتلهم حتى قتل، وأما عمرو فأسر فأُعتق من عامر بن الطفيل، فلما التقى بالرجلين من كلاب قتلهما، فلما أخبر النبي ﷺ بالخبر، قال له: لقد قتلت قتيلين لأدينهما، السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١١٠، ١١١، وزاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ١٠٩، ١١٠، وفتح الباري، ج ٧ ص ٤٤٧ .

من صحابته: وهم أبو بكر وعمر، وعلي، والزبير، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة، فكلم بني النضير في أن يعينوه في دية الكلابيين، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، وتآمروا أن يلقى عليه عمرو بن جَحّاش صخرة من فوق البيت الذي يستند إليه رسول الله ﷺ، فأتاه جبريل عليه السلام بالخبر فنهض سريعاً وتوجه إلى المدينة، فلما لم يرجع قام من كان معه من الصحابة فوجدوا أن رسول الله ﷺ طلب محمد بن مسلمة، فلما جاءه أرسله إلى بني النضير ليأمرهم بالخروج من المدينة، بعدما كشف الله له غدرهم، وأجلهم عشراً فمن وجد بعدها منهم ضرب عنقه، وبدأوا يستعدون للتنفيذ فلما علم عبد الله بن أبي رأس المنافقين أرسل إليهم رسالة بعدم الخروج وأنه سيقف معهم ومعه الفان من قومه وغيرهم من العرب، وكذلك بنو قريظة، فلما أرسلوا إلى بني قريظة رفضوا حتى لا ينقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، فكان أن تغير موقف اليهود وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ "لن نخرج فافعل ما بدا لك" (١) وتحصنوا بحصونهم وأقاموا المتاريس والخنادق وكدسوا أقوات سنة مستعدين للحصار، فما كان من الرسول الكريم ﷺ إلا أن أمر جيشه بالتحرك لمحاصرتهم، وكان ذلك في ربيع الأول من السنة الرابعة وتم تنفيذ الحصار(٢) ولم ينفعهم أحد ممن ذكرهم ابن أبي، وفي النهاية نزلوا على حكم رسول الله ﷺ بالجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل وتولى إخراجهم

(١) انظر: المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٣٦٣ .

(٢) اختلف كتَّاب السيرة في مدة الحصار فمنهم من قال خمسة عشر يوماً، ومنهم من قال قريباً من عشرين ليلة، ومنهم من قال: ثلاثاً وعشرين ليلة، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها خمسة وعشرية ليلة، انظر: سبل الهدى، ج ٤ ص ٤٦٠، ٤٦١ .

محمد بن مسلمة، وأنزل الله فيهم سورة الحشر كاملة [1] أخبر الله سبحانه فيها عن اليهود، وأنهم كانوا أهل كتاب فكفروا بكتابهم وعاندوا الرسول ﷺ الداعي إلى التوحيد واتخذوا الحصون وظنوا أنها تحميهم ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [2] فخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم أثنى على المهاجرين والأنصار والذي جاءوا من بعدهم، ثم أخبر بأن المنافقين لا يستطيع أحد منهم أن يقدم للغادرين مساعدة وما يعدونهم به إنما هو مجرد كلام فقط .

وقد عاين ذلك الموقف الموجودون في هذا الوقت بالمدينة وسمع به من حولها، وأطلع الله سبحانه المؤمنين الصادقين على شيء من مكنون صدورهم بأن هؤلاء اليهود يهابونكم ويخشونكم أشد من رهبتهم من الله، وذلك لعدم فقههم، وأنهم مهما تظاهروا بالبأس أمام المؤمنين ففي داخلهم الفزع، ثم ختم السورة بذكر نحو عشرين اسماً من أسمائه الحسنى تشرح حقيقة العلاقة بالله الواحد، وتعلي هذه العلاقة كي تحيط بالنشاط الإنساني كله" [3]، فلما أُجْلُوا حزن عليهم المنافقون حزناً شديداً [4]،فمنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى ضواحي الشام .

أما المنافقون: فقد فضحهم الله سبحانه، وبدت حقيقة أمرهم عندما انخذل عبد الله ابن أبي بن سلول بثلث الجيش، وعندها انقسم المؤمنون فيهم فريقين، فريق قال نقتلهم، وفريق قال لا نقتلهم، فأنزل الله قوله:

(١) انظر: السيرة النبوية، م ١ ج ٣ ص ١١٤، ١١٥، الرسول القائد، ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

(٢) سورة الحشر، الآية (٢) .

(٢) نحو تفسير موضوعي، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ٤٥١ .

(٣) المواهب اللدنية، ج ١ ص ٢٧١ .

﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) ﴾ [١] وقد سبق الحديث عن هذه الآية من قبل .

وقد كان الرسول ﷺ يعرف المنافقين من أفعالهم ولحن قولهم، ثم في النهاية قبل أن ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى أعلمه الله بأسمائهم، فأخبر رسول الله ﷺ بها حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أمين سره رضي الله عنه .

إن الإسلام علمنا أن المنافقين ليس عندهم المقدرة على مواجهة أهل الحق العاملين به مواجهة علنية، "ولم تكن لهم شوكة يخشى من عواقبها لأنهم عرفوا بالجبن والتستر وراء أستار النفاق ... وكانوا يعيشون بين المجتمع المسلم كما تعيش الطفيليات المفسدة للزروع والثمار" [٢] .

والإسلام دعا إلى الحذر منهم ليكون المجتمع يقظاً لهم، فقد تظاهروا بالإسلام فحقن دماءهم وعصم أموالهم، وعندما كان يصدر من أحدهم في حق رسول الله ﷺ ما يقتضي قتله ويهم أحد من صحابة رسول الله ﷺ بقتله فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿ دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ﴾ [٣] .

وبعد رجوع رسول الله ﷺ من الطور الثاني من أُحد كان عبد الله

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٨) .

(٢) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ج ٣ ص ٥٦٧ .

(٣) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب: البر والصلة، باب: نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث (١٦٦٩) .

بن أبي بن سلول شامتاً هو والمنافقون معه، فقد سروا بما حدث للصحابة ولرسول الله ﷺ، فبدل أن يواسيهم شمت، وقال: "عصاني وأطاع من لا رأي له"، وعندما رأى ابنه المخلص "عبد الله" رجع جريحاً من الغزوة لامه ووبخه، وقال: "ما كان خروجك إلى هذا الوجه برأي، عصاني محمد وأطاع الولدان، والله لكأني أنظر إلى هذا. فقال ابنه: الذي صنع الله تعالى لرسوله وللمسلمين خيراً" (١) .

وسعى المنافقون بتخذيل المؤمنين عن رسول الله ﷺ وطلبوا منهم تركه ﷺ، فيقولون لهم: "لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل، فما سمع عمر بن الخطاب هذا ذهب يستأذن رسول الله ﷺ في قتل من يقول به سواء كان من اليهود أو من المنافقين، فقال له رسول الله ﷺ: "يا عمر إن الله مظهر دينه ومعز نبيه، ولليهود ذمة فلا أقتلهم، قال فهؤلاء المنافقون؟ قال: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: بلى يا رسول الله، وإنما يفعلون ذلك تعوذاً من السيف، فقد بان لنا أمرهم، وأبدى الله تعالى أضغانهم عند هذه النكبة، فقال: إني نهيت عن قتل من قال: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا ابن الخطاب إن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن" (٢) .

وأيضاً "كان لرأس المنافقين منذ مقدم رسول الله ﷺ المدينة مقالة يقولها كل أسبوع إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب، يقوم "عبد الله بن أبي" فيقول: هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله تعالى وأعزكم به، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، فلما كان

(١) سبل الهدي والرشاد، ج ٤ ص ٣٣٨ .

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

يوم أُحد، وبعدما انخذل بثلث الجيش، قام يفعل كما كان يفعل من قبل، فما كان من الناس إلا أن أخذوا بثوبه وقالوا له: اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت فغضب وخرج ويقول: والله لكأني قلت بجراً أن قمت لأشد أزره، فلقيه رجل أنصاري بباب المسجد، وسأله عما أخرجه فذكر له ما حدث، فقال له: أرجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال والله ما أبتغي أن يستغفر لي [1] .

المطلب الثاني
الآثار الاقتصادية لغزوة أحد

لقد كان لقريش في تجاراتها رحلتان، رحلة إلى الشام في الصيف ورحلة إلى اليمن في الشتاء، وبهجرة النبي ﷺ إلى المدينة أصبحت القوة الناشئة تهدد طريق قريش إلى الشام وازداد الأمر والحصار بعد غزوة بدر، وكان السبب الأبرز لها هو خروج الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ لأخذ العير وكانت ستمثل ضربة موجعة لهم لأن بها تجاراتهم، وبنجاة العير بحنكة أبي سفيان أرسل لقريش أنه لا داعي لمقاتلة محمد، ولكن قريشاً شعرت بالخطر الكبير عليها والإهانة من أن تخرج قوة من المدينة تهدد تجارتها وقوافلها فعزموا على المسير إلى بدر والقضاء على تلك القوة، فكانت هزيمة قريش مروعة لهم حيث قتل من صناديدهم الكثير وقتل زعيمهم أبو جهل وبلغ عدد القتلى سبعين وأسر مثلهم الأمر الذي جعلهم يمتنعون عن رثاء قتلاهم والندب عليهم، وكتموا غيظهم حتى يأخذوا ثأرهم، وعملوا على التآمر للقضاء على من يهددهم في تجاراتهم،

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣٣٩ .

فقد كان اعتمادهم على التجارة ورحلة الشتاء والصيف [1] .

وقد ذكرهم الله تعالى بتلك النعمة، فاستتباب الأمن وانتفاء الخوف وهما أساس الحرية السياسية، ووفرة الأقوات وسهولة التبادل، وهما أساس الحرية الاقتصادية فكان الواجب عليهم عبادة رب البيت الذي أكرموا من أجله من الله ومن العرب ... فجزيرة العرب تقع بين أوروبا وآسيا وقد اشتغل أهلها بالتجارة بين هاتين القارتين وكانوا همزة وصل بين الرومان في الشام والهنود في الجنوب، وانتظمت رحلاتهم تنقل السلع بين هؤلاء وأولئك [2] وكذلك وصلوا إلى أفريقيا .

ومنذ هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة أرسل السرايا لتأمين دولته وعقد تحالفات مع المجاورين للمدينة وإعاقة تجارة قريش إلى الشام وهي الأساس عندهم، فلما رأت قريش ذلك خافت من رسول الله ﷺ ومن صحبه فبحثوا لهم عن طريق آخر، فعن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أهله قالوا: "كانت قريش قد حَذِرت طريق الشام أن يسلكوها وخافوا من رسول الله ﷺ وأصحابه وكانوا قوما تجاراً، فقال صفوان بن أمية: إن محمداً وأصحابه قد عوروا [3] علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا، ونحن في دارنا هذه ما لنا نفاقٌ [4] إنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى أرض الحبشة، قال له

(١) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص ١٨٧ .

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ٥٤٢ .

(٣) عوروا: أفسدوا .

(٤) نفاق: جمع نفقة، أي ما لنا نفقة .

(الأسود بن المطلب) فنكب عن الساحل وخذ طريق العراق، قال صفوان لست بها عارفاً، قال أبو زمعه فأنا أدلك على أخبر دليل بها يسلكها وهو مُغْمَضُ العين إن شاء الله، قال: من هو؟ قال: فرات بن حيان العجلي" (١) .

فسلك به طريق العراق فجهزوا عيراً وأرسل معه أبو زمعه ثلثمائة مثقال ذهب، ونقر فضة ــ والنقر القطعة المذابة من الذهب والفضة، وبعث رجال من قريش ببضائع، وخرج صفوان بمال كثير ــ نقر فضة وآنية من فضة وزن ثلاثين ألف درهم، ومعهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة، وخرجوا من طريق العراق، فلما علم بذلك رسول الله ﷺ أرسل أسامة بن زيد بمائة فارس فأتوا بالعير وأسروا رجلاً أو رجلين وكان في الأسرى فرات ابن حيان فأسلم بعد عرض الإسلام عليه (٢) .

وقد أوجع هذا قريشا ودفعها إلى أن تهاجم المدينة وكان سبباً من الأسباب لغزوة أُحد، وجاءت غزوة أُحد بأطوارها الثلاثة، وما استطاعت قريش أن تغير من الموقف شيئاً بالنسبة لطريق تجارتها، ولكن بسبب ما حدث في طور الكبوة في أُحد تجرأت بنو أسد على أن يُعِدوا أنفسهم للهجوم على أطراف المدينة ونهب ما استطاعوا من الماشية، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك، أمر أبا سلمة بالخروج إليهم وعقد له لواء في مائة وخمسين من الصحابة، ليغير عليهم قبل أن يغيروا، ففعل، ووصل بسرعة إلى أدنى ماء من مياههم فوجدوا سرحاً فضموه وأخذوا رعاء لهم فلما وصلهم خبر أبي سلمة تفرقوا في كل وجه، وقسم من معه ثلاث فرق: فرقة أقامت معه، وفرقتان أغارتا على ناحيتين شتى فرجعوا فأصابوا إبلاً

(١) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ١٩٧، ١٩٨ .

(٢) انظر: المرجع السابق، ج ١ ص ١٩٨، والسيرة النبوية، م ١ ج ٢ ص ٣٠٨، ٣٠٩ .

وشاءً ولم يلقوا أحداً، وجاءوا بها إلى المدينة [1] .

ومن الآثار الاقتصادية لأُحد أيضاً (دومة الجندل) [2] وهم من شمال الجزيرة العربية يجاورون الروم، والعرب هناك كانوا لا يخشون إلا القيصر، ولذلك عملوا على قطع طريق القوافل، ونهب ما يمر بهم ــ فقد كان بها سوق عظيم وتجار يأتون إليه، وأنهم بلغ بهم الطيش أن فكروا في مهاجمة المدينة، وكان رسول الله ﷺ بعث العيون لتأمين مدينته، فجاءه هذا الخبر، خبر مهاجمة هؤلاء للمدينة، فعند ذلك أصدر ﷺ أوامره بالتجهز للخروج إلى دومة الجندل فخرج في ربيع الأول من السنة الخامسة في جيش قوامه ألف مقاتل وقطع المسافة في خمسة عشر يوماً فلما وصل رسول الله ﷺ فرت القبائل المحتشدة خوفاً من لقاء جيش رسول الله ﷺ، وفر أهل دومة الجندل، وأرسل ﷺ دوريات قتال واستطلاع التماس [3] بالمشركين وللحصول على معلومات عنهم، ولكن هذه القبائل وأهل دومة الجندل فروا بعيداً واختفوا عن الأنظار، وأقام فيها رسول الله ﷺ بضعة أيام [4]، وكان ﷺ معه دليل خريت فأصاب رسول الله ﷺ من أصاب وهرب من هرب عندما نزل مراعيهم، وذكر محمد

(١) انظر: المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٣٤٢، ٣٤٣ .

(٢) دومة الجندل: سميت بذلك نسبة إلى حصن بناه "دوماء بن إسماعيل بن إبراهيم"، معجم البلدان، ج ٢ ص ٤٨٧، والجندل: الحجارة، وهي الآن في منطقة الجوف بالسعودية.

(٣) التماس: اصطلاح عسكري حديث: معناه لقاء العدو وقتاله، الرسول القائد، هامش رقم ١ ص ٢١٣ .

(٤) انظر: فقه السيرة، ص ٢٩٤، والرسول القائد، ص ٢١٣، والمغازي، ج ١ ص ٤٠٣ .

بن مسلمة أنه أخذ رجلاً منهم فأتى به النبي ﷺ فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمس حيث سمعوا بأنك أخذت نَعَمهم، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم [١] بذلك أمن رسول الله ﷺ طريق القوافل للمسلمين ولغيرهم، وأعلم هؤلاء بقوة المسلمين، وكل من مر بهم رسول الله ﷺ في طريقه علم قوة المسلمين، فقدرهم حق قدرهم .

كذلك من آثار غزوة أُحد الاقتصادية: ما أنزل الله من آيات بينات في تحريم أكل الربا أضعافاً مضاعفة، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [٢] .

فقد كانوا في الجاهلية يقولون إذا حل أجل الدين إما أن تقضي وإما أن تربي فإن قضاه وإلا زاده في المدة وزاد الآخر في القدر [٣] .

فالأضعاف المضاعفة وصف لواقع، وليست شرطاً يتعلق به الحكم، فالنص الوارد في سورة البقرة نص قاطع في حرمة أصل الربا ــ بلا تحديد ولا تقييد ــ ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [٤] أياً كان .

إنه في الحقيقة ليست وصفاً تاريخياً فقط للعمليات الربوبية التي كانت في الجزيرة، والتي قصد إليها النهي هنا بالذات إنما هو وصف

(١) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٤٠٤ .
(٢) سورة آل عمران، الآيات (١٣٠ ــ ١٣٢) .
(٣) تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤٠٤ .
(٤) سورة البقرة، الآية (٢٧٨) .

ملازم للنظام الربوي المقيت ... فالعمليات الربوبية ليست عمليات مفردة ولا بسيطة فهي عمليات متكررة من ناحية ومركبة من ناحية أخرى فهي تتشئ مع الزمن والتكرار والتركيب أضعافاً مضاعفة بلا جدال، إن هذا النظام يفسد الحياة النفسية والخلقية كما أنه يفسد الحياة الاقتصادية والسياسية [1] .

ثم يخوف المؤمنين من النار فإنها أعدت للكافرين، ومن شأن المؤمن ألا يأكل الربا، ثم يأمره بالطاعة الكاملة لله ولرسوله ﷺ فإنها توصل إلى رحمة الله سبحانه .

وذكر الآيات في حرمة الربا ضمن الآيات التي تتحدث عن الغزوة الحربية ليبين الله لنا أن الإسلام يرد المسلم إلى محور واحد وهو العبادة لله وحده والعبودية والتوجه إليه بالأمر كله [2] وأن المعارك الحربية حَلْقة من حلقات المنهج الإسلامي المتكامل الذي يشمل جوانب الحياة الإنسانية كلها، وأن دائرة المجتمع في الإسلام متكاملة فأي تقصير أو تجاوز في هدى الله سبحانه قرآناً أو سنة من موانع ومعوقات النصر الشامل والنصر في المعارك الحربية مع الأعداء، فعلى الأمة أن تدرك ذلك لفلاحها ورحمتها .

□

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج٢ ص ٧٤ .

المطلب الثالث

الآثـار الاجتماعيـة لغزوة أحـد

قام الرسول ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فكانت تقدم هذه المؤاخاة على الأخوة في النسب وكان التوارث على أساسها، حتى جاءت غزوة بدر فأنزل الله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [1] فألغى التوارث بعقد الإخاء ورده إلى التوارث بالنسب، وكانوا جميعاً على قلب رجل واحد حباً ومودة وتعاوناً ومواساة، وقد أنزل الله سبحانه بعد أُحد آيات تأمر ببذل الخير والإنفاق في السراء والضراء، وأمر كذلك بكظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم، فقال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [2] وضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في الوحدة والترابط تحت عين رسول الله ﷺ، وبعد المحنة التي حدثت في غزوة أُحد قابلوها بالثبات والصبر كما أمر الله ﷻ، والجميع بمن فيهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ صبروا واحتسبوا شهداءهم عند الله سبحانه، وجميع الصحابيات كن يسألن أولاً عن رسول الله ﷺ، ومن أمثلة الصبر ما ذكره ابن إسحاق أن صفية بنت عبد

(١) المرجع السابق، ج ٢ ص ٧٣ .

(١) سورة الأنفال، الآية (٧٥) .

(٢) سورة آل عمران، الآيتان (١٣٣، ١٣٤) .

المطلب أقبلت لتنظر إليه أي إلى الحمزة ﷺ، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها، فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك قال: خل سبيلها فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه [1] واسترجعت واستغفرت له [2] فالجميع في المقام الأول كان يهمهم أمر رسول الله ﷺ دائماً في السلم والحرب. ففي أحد كانوا يقدمون أرواحهم في سبيل الله دفاعاً عن رسول الله ﷺ وعندما حدثت المحنة وعلم بها من في المدينة كان كل من في المدينة من الصادقين يسأل عن شأن رسول الله ﷺ وعلى سبيل المثال عبد الله ابن أم مكتوم الذي أستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة لإمامة الناس في الصلاة عندما سمع بما حدث وهو مكفوف البصر ــ وأن البعض قد فر. قال: أعن رسول الله تفرون ثم جعل يُؤَقّفُ [3] الناس بهم ... ثم قال أعدلوني على الطريق ــ يعني طريق أحد ــ فعدلوه على الطريق فجعل يستخبر كل من لقي عن طريق أحد حتى لحق القوم، فعلــم بسلامة رسول الله ﷺ [4] .

لقد كان مصابهم شديداً فحزنوا أول الأمر، "ولكنهم لم يهنوا ولم يستكينوا، إن مرارة الحزن عندهم لم تكن ناراً تحرق القلوب ولكنها كانت

(١) دعت له .

(٢) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٣٦، ٣٧ .

(٢) في نسخة أخرى "يؤنب بهم"، انظر: المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ٢٧٧ .

نوراً يضيء الطريق، لقد كانت ناراً وحسرات في قلوب المنافقين وضعاف النفوس أولئك الذين "أهمتهم أنفسهم" فجعلوا يقولون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [١]، ولكنها عادت برداً وسلاماً في قلوب المؤمنين إذ مسح الله على ناصيتهم ... بالهجوع والنوم، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ [٢] وما إن استيقظوا هادئين آمنين حتى أخذوا يتعرفون أسباب مصابهم، ويوازنون مغتبطين بين خسائرهم وأرباحهم ويتأهبون في الوقت نفسه للكر على أعدائهم" [٣] .

وقام الرسول الكريم ﷺ بمواساة أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ وعزاهم في المصاب، وبادلوه ﷺ المواساة والتعزية صابرين راضين بقدر الله سبحانه.

ومن أمثلة المواساة ما قام له نساء من بني عبد الأشهل بالوقوف بباب مسجده ﷺ يبكين على عمه "الحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه" .

قال ابن إسحاق: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال: أرجعن يرحمكن الله، فقد آسيتين [٤]، قال ابن هشام: ونهى يومئذ عن النوح، وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة: أن رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهن، قال: رحم

---

(٥) سورة آل عمران، الآية (١٥٤) .

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٤) .

(٢) زاد المسلم للدين والحياة، ص ١٣٣ .

(٣) آسيتين: عزيتين وعاونتن .

الله الأنصار، فإن المواساة منهم قديمة، مروهن فلينصرفن [1].

أما من كان يثير الفتنة دائماً ويعكرون الصفو فهم المنافقون بقيادة "عبد الله بن أبي بن سلول" ومن بين مكائدهم عندما كان المسلمون على ماء بني المصطلق حدث تنازع بين "سنان بن وبر"، و"جهجاه بن مسعود الغفاري"، فنادى سنان يا للأنصار ونادى جهجاه يا للمهاجرين فأقبل جمع من الحيين وشهروا السلاح وكادت تقع فتنة كبيرة فخرج رسول الله ﷺ، فقال ما بال دعوى الجاهلية؟ فأخبر بالحال فقال: دعوها فإنها منتنة وتم الصلح، فلما بلغ عبد الله بن أبي ما قال جهجاه قال: أوقد فعلوها، لقد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ... والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وأخذ يلومهم ويحرضهم على التنكر لرسول الله ﷺ ولصحبه، فذهب زيد بن أرقم وقص حديث عبد الله بن أبي على رسول الله ﷺ، وكان عند رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار، فجعل رهط الأنصار يؤنبون الغلام ويلومونه، وزيد يقول والله لقد سمعت ما قال، والله ما كان في الخزرج رجل واحد أحب إلي من عبد الله بن أبي، ولو سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها إلى رسول الله ﷺ وإني لأرجو أن ينزل الله على نبيه ما يصدق حديثي، فلما علم ابن أبي بذلك أقسم بالله ما قال من ذلك شيئاً، وذهب إلى رسول الله ﷺ فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد، فقال من حضر من الأنصار: عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل، وحتى لا تقع فتنة أصدر رسول الله ﷺ أوامره بالارتحال في ساعة لم يكن يروح في مثلها وبسبب ذلك ألقت الناقة به ﷺ فاشتكى ظهره فلما جاءه عمر بن الخطاب ــ وكان رسول الله ﷺ

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام، م ٢ ج ٣ ص ٣٨ .

في ظل شجرة وعنده غلام أسود يعصر ظهره فاستأذن رسول الله ﷺ في أن يقتل ابن أبي بن سلول فلم يأذن له، فلما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول مقالة عمر بن الخطاب جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إن كنت تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فمرني به، فو الله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا .... إلى أن قال: وعفوك أفضل ومَنُّك أعظم، فقال رسول الله ﷺ: يا عبد الله ما أردت قتله ولا أمرت به، ولنحسنن له صحبته ما كان بين أظهرنا [١] .

ثم وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي عند وادي العقيق ومنع أن يمر أبوه إلا بإذن من رسول الله ﷺ وقال لأبيه: لتعلم أيهما الأعز من الأذل أنت أم رسول الله ﷺ، فلما مر رسول الله ﷺ فرأه فسأل فقيل له عبد الله بن عبد الله بن أبي يأبى أن يأذن لأبيه حتى تأذن له، فقال رسول الله ﷺ: خل عن أبيك فخلى عنه [٢] .

ويعلق صاحب سبل الهدى على ذلك بقوله: "وفي هذا العلم العظيم والبرهان النير من أعلام النبوة، فإن العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصباً فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده تقرباً إلى الله تعالى وتزلفاً إلى رسوله مع أن النبي ﷺ أبعد الناس نسباً منهم ــ أي من الأنصار ــ وما تأخر إسلام قومه وبني عمه وسبق إلى الإيمان به الأباعد إلا لحكمة عظيمة، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به، لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم، وتعصبوا له، فلما بادر إليه الأباعد، وقاتلوا على حبه من كان منهم، أو

(١) سبل الهدي والرشاد، ج ٤ ص ٤٩١، ٤٩٢ بتصرف .

(٢) المرجع السابق، ص ٤٩٨ .

من غيرهم، علم أن ذلك عن بصيرة صادقة، ويقين قد تغلغل في قلوبهم، ورهبة من الله تعالى، أزالت صفة قد كانت سَكِت [1] في نفوسهم من أخلاق الجاهلية، لا يستطيع إزالتها إلا الذي فطر الفطرة الأولى، وهو القادر على ما يشاء" [2] .

أما فيما يتعلق بما نقله "زيد بن أرقم" لرسول الله ﷺ فقد أنزل الله تعالى سورة المنافقين وفيها تصديق زيد بن أرقم فيما قال ومنها [3] ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [4] ثم تزعم الخبيث حادثة الإفك التي برأ الله فيها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، قُصد بها في المقام الأول إيذاء الرسول الكريم ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ، واستمرت شهراً [5]، ثم أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عشر

(١) سَكِت: لزمت .

(٢) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٥٠٥ .

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٤٩١، ٤٩٢، فقه السيرة، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ٢٩٧ .

(٤) سورة المنافقون، الآية (٨) .

(٤) ذكر بعض المفسرين أن المدة كانت سبعة وثلاثين يوماً فألغى الكسر في هذه الرواية، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد، ويجمع بأنها المدة التي كانت من قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حين بلغها الخبر، فتح الباري، ج ٨ ص ٣٣١ .

آيات من سورة النور [١] من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [٢] .

ومن العجيب أن ممن تولى كبره ــ عبد الله بن أبي بن سلول ــ، والراجح أنه لم يقم عليه حد القذف، وأقيم الحد [٣] على من ثبت عليهم تهمة القذف، وهم: "حسان بن ثابت"، و"مسطح بن أثاثة"، و"حمنة بنت جحش"، وهؤلاء من المؤمنين الصادقين تطهيراً لهم وتكفيراً وترك ابن أبي إذاً فليس هو من أهل ذاك [٤] .

لقد أظهرت حادثة الإفك: كمال صبره ﷺ وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به وفي مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى

(١) راجع: تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٢٦٨، فقال هذه الآيات العشر كلها نزلت في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . على اختلاف بين العلماء في عدد الآيات .

(٢) سورة النور، الآيات (١١ ــ ٢٦) .

(٣) هذه المسألة فيها قولان: القول الأول: أن الذين أقيم عليهم الحد أربعة: عبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش. والقول الثاني: أن الذين أقيم عليهم الحد ثلاثة: حسان بن ثابت، ويسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش. وهو الراجح والمشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء. انظر: الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ج ٧ ص٤٥٩٣، طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب، الناشر: دار الريان للتراث .

(٤) زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ١١٥ .

جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه [1] .

فقد كان المجتمع الصادق كله متماسكاً مترابطاً كما علمهم الإسلام ورباهم رسول الله ﷺ ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [2] .

وقال ﷺ: ﴿ إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه ﴾ [3] .

أما من كانوا يثيرون الفتن فهم المنافقون، واليهود، وبمضي الوقت تم الكشف تباعاً عن المنافقين إلى أن وصلت النهاية بعد غزوة تبوك بمعرفتهم معرفة كاملة وبأسمائهم .

أما اليهود فقد انتهى وجودهم في المدينة بما وقع منهم من نقض العهد مع رسول الله ﷺ .

□

(١) المرجع السابق، م ١ ج ٢ ص ١١٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين، رقم الحديث (٢٥٨٦) .

(٣) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين، رقم الحديث (١٦٧٠) .

المطلب الرابع

الآثـــار الفقهية لغزوة أحـــد

لقد تجلت آثار غزوة أُحد في الكثير من الأمور الفقهية التي لم تُعرف من قبل وبخاصة فيما يتعلق بالجهاد، وقد ذكرها ابن القيم في كتابه زاد المعاد وهي:

(١) لزوم الجهاد بالشروع فيه فمن لبس ملابس القتال فلا يرجع حتى يقاتل العدو .

(٢) عند طَرق العدو ديار المسلمين عليهم أن يفعلوا تجاهه ما هو أنصر لهم فإن رأوا الخروج أنصر خرجوا وإن رأوا مقاتلته داخل البلد أنصر فعلوا .

(٣) تقديم المصلحة العامة على الخاصة، ومنها إذا تعين مكان للسير بالنسبة للجيش لتحقيق هدفه سلكه الإمام وافق صاحب الأرض أو لم يوافق وذلك ما فعله رسول الله ﷺ بالسير في أرض المنافق .

(٤) اختبار لياقة الشباب ما دون البلوغ فمن توفرت فيه الطاقة قُبل وإلا يُرد في الجهاد .

(٥) جواز مشاركة النساء في الجهاد، والاستعانة بهم، وجواز مباشرة القتال لهن، إذا اقتضت الحاجة، كما حدث من أم عمارة رضي الله عنها .

(٦) جواز الانغماس في العدو، كما فعل أنس بن النضر رضي الله عنه .

(٧) جواز صلاة الإمام قاعداً إذا كان به عذر يمنعه من القيام، ويصلي معه المأمومون قعوداً [1] واستمر ﷺ على هذا حتى

(١) وهو ما ذهب إليه أسيد بن حضير، وجابر بن عبد الله، وقيس بن فهد، وأبي هريرة، وبه قال الأوزاعي وأحمد وحماد بن زيد وإسحاق وابن المنذر، وقال مالك في إحدى

لحق بالرفيق الأعلى .

(٨) جواز دعاء الرجل على نفسه بالموت في سبيل الله، كما فعل عبد الله بن جحش: اللهم لقني من المشركين رجلاً عظيماً كفره، شديداً حرده [١] فأقاتله، فيقتلني فيك ويسلبني، ثم يجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك، فقلت: يا عبد الله بن جحش، فيم جُدعت؟ قلت: فيك يا رب [٢] .

(٩) أن المسلم إذا قتل نفسه فهو من أهل النار لقوله ﷺ عن قُزمان الذي أبلى بلاء حسناً يـــوم أحد: ﴿ فلما اشتدت به الجراح نَحَر نفسه، فقال ﷺ: هو من أهل النار ﴾ [٣] .

(١٠) أن الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه [٤] ولا يكفن في غير ثيابه بل يدفن فيها إلا أن يسلبها فيكفن في غيرها .

(١١) اختلف الفقهاء في الشهيد إذا كان جنباً، فقال أبو حنيفة وأحمد إنه يغسل اقتداء بالملائكة، وقال مالك والشافعي وأبو يوسف ومحمد لا يغسل لعموم الدليل، ولأنه لو كان واجباً سقط بغسل الملائكة،

روايتيه: لا تصح صلاة القادر على القيام خلف القاعد، وهو قول محمد بن الحسن، وقال الثوري والشافعي وأصحاب الرأي يصلون خلفه قياماً. زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج ٣ ص ١٩٠ .

(١) حرده: غضبه، يقال حَرد الرجل غضب، انظر: معجم مقاييس اللغة، ج ٢ ص ٥١ .

(٢) زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) أخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق، م ٢ ج ٣ ص ٢٨، وقال محقق زاد المعاد، الشيخ/ شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات لكنه مرسل، وكان قزمان قد قاتل قتالاً شديداً فقتل سبعة أو تسعة رجال، وقد أقر بأنه كان يقاتل على أحساب قومه وقتل نفسه .

(٤) هامش زاد المعاد، ج ٣ ص ١٧٩ (٢) نيل الأوطار، للشوكاني، م ٢ ج ٤ ص ٣٠ .

ولأمر النبي ﷺ بغسله، وقال الشوكاني: وهو الحق [١] . وبين الشوكاني: أن فعل الملائكة ليس من تكليفنا ولا أمرنا بالاقتداء بهم [٢]، والنفس أميل إلى فعل رسول الله ﷺ بعدم غسل الشهيد إذا كان جنباً .

(١٢) أن الشهداء يدفنون في مصارعهم، فقد دفن رسول الله ﷺ الشهداء بأحد، وأمر برد من نقل إلى المدينة منهم إلى أُحد .

(١٣) جواز دفن الرجلين أو الثلاثة في قبر واحد [٣] ويجوز كذلك دفن المتحابين في الدنيا في قبر واحد، فدفن رسول الله ﷺ الحمزة مع ابن أخته عبد الله بن جحش، وعمرو بن الجموح مع عبد الله بن عمرو بن حرام .

(١٤) لا يجب الخروج للجهاد على من عذره الله سبحانه، ولكن إذا خرج جاز له كما حدث مع عمرو بن الجموح رضي الله عنه .

(١٥) إذا قتل مسلم بأيدي المسلمين ظناً منهم أنه كافر، فعلى الإمام ديته من بيت المال ــ وزارة المالية ــ لأن رسول الله ﷺ أراد أن يؤدي الدية إلى ابنه حذيفة فامتنع وتصدق بها على المسلمين [٤] .

(١٦) أول وقف في الإسلام، وهو وقف مخيريق، فقد روى السهيلي أن مخيريق أحد بني النضير وقوله: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، فأصيب يوم أحد، فجعل رسول الله ﷺ حين انصرف ماله

---

(٢) نيل الأوطار، للشوكاني، م ٢ ج ٤ ص ٣٠ بتصرف .

(٣) قيدها ابن قدامة بالضرورة، وقال هذا قول الشافعي، ثم قال: فإن وجدت الضرورة دفن الاثنين أو الثلاثة وأكثر في القبر الواحد، المغني، لابن قدامه، ج ٢ ص ٤٢٠ .

(٤) انظر: زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ٩٧ ــ ٩٩ بتصرف .

أوقافاً، وهو أول حبس حبس في الإسلام [١] وكانت سبع حوائط [٢] .

وهـــي حجة للذين أجازوا الأحباس ولـــم يمنعوها، فهي عمل نبـــوي ثابت إلى يوم القيامة [٣] .

المطلب الخامـس
من الفوائـــد والحكم الربانية في أحـــد

إن الله سبحانه وتعالى حكيم في أمره ونهيه وقدره، وقد كان في أحد من الفوائد والحكم الكثير، منها ما يأتي:

(١) سوء عاقبة المعصية وشؤمها وذلك بترك الرماة أماكنهم وقد عم هذا الأثر الجيش كله حتى رسول الله ﷺ وأن العدو يدال عليهم بذنوبهم والشيطان يستزلهم بها وهي نوعان: تقصير في حق أو تجاوز لحد، فعليهم الحذر كل الحذر من الذنوب .

(٢) أن الرسل ــ صلوات الله عليهم ــ تبتلى وتكون لهم العاقبة ويجمع الله لهم بين النصر والابتلاء حتى يميز الطيب من الخبيث لطهارة المجتمع المسلم .

(٣) إرادة الله سبحانه الكرامة لبعض خلقه فأحلهم من أعلى المنازل عنده [٤] وهم شهداء أحد، ومنهم سيد الشهداء الحمزة رضي الله عنه، فهم أحياء عند الله يرزقون، لأنهم أحيوا منهجه وبذلوا أرواحهم

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلي، ج ٦ ص ٤٧ .

(٢) وهي: الأعراف، والأعواف، والصافية، والدلال، وبُرقة، وحُسنى، ومشربة أم إبراهيم، وسميت مشربة أم إبراهيم لأنها كانت تسكنها، الروض الأنف، ج ٦ ص ٤٧ .

(٢) خاتم النبيين، م ٢ ص ٧٣٠ .

(٣) أن الشهادة من أعلى مراتب أولياء الله، وأنه تأتي بعد درجة الصديقية، فساقها إليهم، وأنه قد لا تبلغها أعمالهم فقيض الله لهم المحن والبلايا ليبلغوها .

خالصة لله، وأرواحهم في حواصل طير خضر تسرح بهم في الجنة ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش، وأنه سبحانه يمتعهم بسؤالهم عما يتمنون، فيتمنون الرجوع إلى الدنيا عشر مرات فيقاتلوا في سبيل الله لما رأوا من الكرامة وثـــواب الشهادة، وأن الملائكـــة غسلت حمزة بن عبد المطلب [١] وحنظلة بن أبي عامر، وكذلك تظليل الملائكة لعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، حتى رفع [٢] .

(٤) تنبيه المؤمنين أن عدوهم ليس هو الخارجي فحسب، وإنما أيضاً لهم عدو من بينهم وهم المنافقون فليحذروهم أشد الحذر. وهي من أجل الحكم وهي مستمرة إلى قيام الساعة .

(٥) قد يتأخر النصر عن المؤمنين حتى لا يتكبروا ولا يتعالوا وليعلموا أن كل شيء قدر تقديراً وأن النصر بيد الله تعالى وحده .

(٦) أن الله تعالى إذا أراد إهلاك أعدائه قيض لهم أسباب الهلاك فأصابوها، حقت عليهم كلمة الهلاك فيهلكون بكفرهم وبغيهم وأذية أوليائه، وهي سنة ماضية لله سبحانه .

(٧) تألق العبودية في المؤمنين في السراء والضراء فلا يصلح عباد

---

(١) روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ﷺ قال: ﴿ قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ جنباً، فقال رسول الله ﷺ غسلته الملائكة ﴾ صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب: معرفة الصحابة، ذكر إسلام حمزة، رقم الحديث (٤٨٨٥) .

(٢) البخاري ومسلم، البخاري، كتاب: الجهاد، باب: ظل الملائكة على الشهيد، رقم (٢٨١٦)، وقال البخاري، قلت لصدقة أفيه حتى رفع، قال: ربما قاله، وصدقة هو ابن الفضل شيخه فيه، فتـــح الباري، ج ٦ ص ٣٩، مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن عمرو، رقم الحديث (٢٤٧١).

الله إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهم مع الله سبحانه في جميع أحوالهم مسلِّمين راضين .

(٨) إزالة ما يُعيق النفوس من السير الحثيث إلي الله ــ سبحانه ــ من الذنوب والطغيان الذي تكتسبه النفس من العافية الدائمة والنصر والغناء فيجعلها تركن إلى العاجلة ــ فيقيض الله لها من البلاء والامتحان ما يستخرج هذه الأدواء .

(٩) أن ما حدث من بعض الصحابة من كبوة في أُحد إنما هو من موجبات الطباع وبقايا النفوس التي تمنع النصر فخلصهم منها بإنزال الغم عليهم ثم أكرمهم بعلامة السلامة وهو النعاس فأزال الغم وصفت نفوس الصادقين، ولذلك عفا عنهم، قيل للحسن كيف يعفو عنهم وقد سلط عليهم أعداءهم حتى قتلوا منهم من قتلوا ومثلوا بهم ونالوا منهم من نالوه؟ فقال: لولا عفوه عنهم لاستأصلهم ولكن بعفوه عنهم دفع عنهم عدوهم بعد أن كانوا مجمعين على استئصالهم .[1]

(١٠) أن الأمر كله لله فلا يكن إلا ما سبق به قضاؤه، وعلى الإنسان المؤمن الإيمان بالقضاء والقدر [2]، والتوكل على الله سبحانه بالقلب والأخذ بالأسباب، وعليه أن يحسن ظنه بالله ﷻ "أنا عند ظن عبدي بي" [3] قادر على أن أعمل به ما ظن بي أنى عامل به، وقال

(١) زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) انظر: زاد المعاد، م ١ ج ٢ ص ٩٩ ــ ١٠٨ باختصار وتصرف .

(٣) اللؤلؤ والمرجان فميا اتفق عليه الشيخان، رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: الحث على ذكر الله تعالى، رقم الحديث (١٧١٣)، والمراد به: الرجاء وتأميل العفو، ملخص شرح النووي، ج ٤ ص ٢٠٦١ .

ابن أبي حمزة: المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [١] وقال القرطبي في المُفهِم: قوله تعالى "أنا عند ظن عبدي بي" قيل معناه ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده [٢] .

(١١) ومن أجل الحكم ما نزل من درس كامل في آيات مباركات في القرآن الكريم عن غزوة أُحد تبين أن هذا هو الدرس الثاني بعد درس بدر، وأن الإسلام منهج شامل لكل نواحي الحياة، وأن الصحابة كانوا في هذا الوقت مرحلة من مراحل التربية، ولذلك عفا الله عنهم، وهم بفضل الله أهل لذلك، وأمر نبيه ﷺ بالعفو عنهم، ثم لما بوأهم المولى سبحانه منزلة عالية كان حسابهم على قدر هذه المنزلة فمن أخطأ في آخر درس من دروس الجهاد في سبيل الله في غزوة تبوك كانت معاملته بشدة، وتمثل هذا في الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله ﷺ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [٣] وهم: كعب بن مالك، مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، نزلت توبتهم بعد

(١) سورة التوبة، الآية (١١٨) .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام/ أبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ج ٧ ص ٥، ط (١)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت .

(٣) سورة التوبة، الآية (١١٨) .

خمسين يوماً وفحصهم وهذبهم الله فيهـــا، فقد بلغ صحابة رســـــول الله ﷺ أعلى مستوى في التربية على يد رسول الله ﷺ

وقد أنزل الله سبحانه في أحد كما قال ابن إسحاق: "فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى ستـــون آية من آل عمران، فيها صفـــة ما كان في يومهم ذلك، ومعاتبـــة من عاتب منهم" [1]، وروى ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد، قال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدهـــــا: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ ﴿أَمَنَةً نُعَاسًا ﴾ [2] .

إن هذه الآيات تتحدث عن ميدانين، ميدان النفس البشرية، وميدان المعركة، فإن النصر يأتي نتيجة استقامة النفس البشرية في جميع جوانبها فتطهر الجبهة الداخلية وهذا مهم للوصول إلى النصر والثبات عليه، وسوف أتناول بإذن الله ــ تعالى ــ الآيات بإيجاز .

(١) الآية رقم (١٢١): ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ تبدأ بذكر استعداد رسول الله ﷺ وخروجه وتخطيط ميدان المعركة وإنزال القوات منازلها ومراكزها تحت سمع الله وعلمه .

(٢) الآية (١٢٢): ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ تذكر الآية شيئاً لم يطلع عليه أحد من الخلق، إلا الله سبحانه وَهَمَّ بنو سلمة وبنو حارثة أن تتبع ابن أبي وتخرج من المعركة، ولكن تداركتهم عناية الله فثبتهم في الميدان،

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، م ٢ ج ٣ ص ٤٣ .

(٢) فتح الباري، ج ٧ ص ٤٠٢، ٤٠٣ .

ويأخذ المسلمون من هذا أن يُوحدوا على درب واحد ولا يستجيبوا لداعية النفس والهوى ووساوس الشيطان، وأن الله تعالى يثَّبت المؤمن الصادق، ويحفظه فالله سبحانه ولي المؤمن، وعندما يكون الهم بالفشل لا على شك في الدين، وإنما عن جبن وضعف، فالله يتولى دفع ذلك عنهم برحمته [١] .

(٣) الآية (١٢٣): ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ ذكَّرهم الله بأنه هو الذي نصرهم ببدر وكانوا قلة

(٤) الآية (١٢٤): ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ يطمئن الله المؤمنين بالمدد من الملائكة بثلاثة آلاف .

(٥) الآية (١٢٥): ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ فإن صبروا أمام العدو وأطاعوا الله وأتى الأعداء من وجههم يزيد المدد إلى خمسة آلاف معلمين، وقد اختلف المفسرون في هذا المدد هل كان في بدر أو كان في أحد على قولين: ومن قال بأن المقصود في أحد، قالوا لم يحصل المدد لأن المسلمين فروا [٢] .

(٦) الآية (١٢٦): ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ يبين المولى سبحانه أن الإمداد بالملائكة بشارة وتطمين للمؤمنين، والحقيقة التي يجب أن

(١) انظر: السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ٤٤ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤٠١ .

يوقنوا بها أن الذي يملك النصر هو الله ﷻ فهو الذي لا يغلب وهو حكيم في أمره كله، فعلى المؤمن أن ينصر الله تعالى بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

(٧) الآية (١٢٧): ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ ليهلك طائفة من الذين كفروا، إما بنقص العدد بالقتل، أو الأرض بالفتح، أو من سلطانهم بالقهر، أو من أموالهم بالغنيمة أو من فاعليتهم في الأرض بالهزيمة، أو يخزيهم بالهزيمة فيعودوا مقهورين [١] .

(٨) الآية (١٢٨): ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ "ليس لك من الحكم شيء في عبادي غير ما أمرتك به فيهم أو يسلموا أو يعذبوا في الدنيا والآخرة على كفرهم، فإنهم يستحقون العذاب" [٢] . وذلك لما قال رسول الله ﷺ: ﴿ اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه ــ يشير إلى رباعيته ــ اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيله ﴾ [٣] .

(٩) الآية (١٢٩): ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ أن الكون كله ملكاً وخلقاً وعبيداً لله، والمغفرة بيده والعذاب بيده يغفر ويرحم أهل طاعته .

---

(١) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ١ ص ٤٠٢ .

(٣) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، رقم الحديث (٤٠٧٣) .

(١٠) الآية (١٣٠): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ تحريم الربا أضعافاً مضاعفة بأن يزاد في المال عند حلول الأجل وتأجيل الطلب، وهذا عرض لواقع كان في الجزيرة، والعمليات الربوبية تنشيئ مع الزمن والتكرار والتركيب الأضعاف المضاعفة [1] . وقد حرمت آية سورة البقرة الربا بكل أشكاله وأنواعه .

(١١) الآية (١٣١): ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾ يأمر الله المؤمنين بأن يجعلوا بينهم وبين النار التي أعدت للكافرين وقاية بطاعة الله ورسوله، بتنفيذ أمره والابتعاد عن نهيه، وإلا عذبوا بهذه النار .

(١٢) الآية (١٣٢): ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ يأمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ .

(١٣) الآية (١٣٣): ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ الأمر بالمسارعة إلى مغفرة الله وجنته التي أعدها للمتقين .

(١٤) الآية (١٣٤): ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ من صفات المتقين الإنفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم .

(١٥) الآية (١٣٥): ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ

(١) تفسير الجلالين، ص ٨٤، والظلال، ج ٢ ص ٧٤ .

ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ ومن صفات المتقين أنهم إذا وقعت منهم مخالفة، ذكروا وعيد الله فطلبوا المغفرة من الله وتابوا إليه والله هو الذي يغفر الذنوب وحده، ولم يداوموا على المعاصي وأن من تاب تاب الله عليه" (١) "وأن الذي أتوه معصية" (٢) .

(١٦) الآية (١٣٦): ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ جزاء المتقين مغفرة من الله سبحانه وجنات الخلد .

(١٧) الآية (١٣٧): ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ تلفت المؤمنين إلى أن لله سنناً في المؤمنين والكافرين، وإن العاقبة للمؤمنين والهلاك للمكذبين بعد إمهالهم، فكم من أمة خلت فلما عصت وكذبت هلكت .

(١٨) الآية (١٣٨): ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ أن القرآن الكريم فيه بيان الأمور بجلاء، وهداية وزجراً عن المحارم والمآثم، وذلك البيان للناس كافة يستفيد منه المتقون" (٣) .

(١٩) الآية (١٣٩): ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ لا تضعف عزيمتكم عن قتال الكفار، ولا تحزنوا على ما حدث لكم في أحد، فالغلبة لكم شريطة الإيمان.

---

(١) تفسير القرآن العظم، لابن كثير، ج ١ ص ٤٠٨ .

(٢) تفسير الجلالين، ج ١ ص ٨٥ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤٠٨ .

(٢٠) الآية (١٤٠): ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ إن يمسسكم جرح في أُحد فقد مس الكفار جرح مثله، إما في بدر أو في أول المعركة، وتلك الأيام نصرفها بين الناس حتى يتعظوا، ويظهر الذين أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ويكرم من يشاء بالشهادة، وهو سبحانه يعاقب الظالمين وما ينعم عليهم من نعم فهو استدراج .

(٢١) الآية (١٤١): ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ويطهر الله المؤمنين من الذنوب ويهلك الكافرين .

(٢٢) الآية (١٤٢): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ لا يحصل لكم دخول الجنة إلا بعد ما تبتلوا ويظهر المجاهدون في سبيل الله والصابرون على مقاومة الأعداء .

(٢٣) الآية (١٤٣): ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ ولقد تمنيتم الموت من قبل فقد عاينتموه فاصبروا واحسبوا لكل أمر حسابه فليس القول باللسان كالرؤية بالعيان .

(٢٤) الآية (١٤٤): ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ إن محمداً هو رسول قد سبقته رسل من الله سبحانه فهو صاحب منهج، وعندما يموت أو يقتل فالمبدأ موجود، فعليكم عندها أن تثبتوا وتقاتلوا على منهجه لا أن ترجعوا

القهقري، فمن ثبت على منهجه سيكافئه الله، ومن رجع فإنما يضر نفسه .

(٢٥) الآية (١٤٥): ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ تذكير بأن الموت بإذن الله سبحانه بالأجل الذي حدده ﷻ، ومن أراد ثواب الآخرة أعطاه الله منها، ومن أراد ثواب الدنيا أعطاه الله منها بمشيئته ولا حظ له في الآخرة .

(٢٦) الآية (١٤٦): ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ فكم من نبي قاتل معه جموع كثيرة فما خارت عزائمهم، وما دب اليأس في نفوسهم وفكرهم، وما استسلموا وفشلوا في المقاومة، وما خضعوا وذلوا لعدوهم" [(١)] فـ "إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء، وجاء الاستسلام، فتبعته المذلة والخضوع" [(٢)] .

(٢٧) الآية (١٤٧): ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ وما كان قول أتباع الأنبياء إلا أن سألوا الله المغفرة من الذنوب وتجاوزهم الحد اعترفا بأن ما أصابهم فبسوء فعلهم "من الذنوب أو التقصير في الاستعداد والحذر" [(٣)]، وهضماً لأنفسهم والثبات بالقوة على الأعداء والنصر على الكافرين .

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج ٤ ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٢٠ .

(٢٨) الآية (١٤٨): ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ فاستجاب الله لهم فنصرهم وغنموا وأدخلهم الجنة فهم محسنون .

(٢٩) الآية (١٤٩): ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ تحذير للمؤمنين من طاعة الكافرين فإنها تورث الردى في الدنيا والآخرة .

(٣٠) الآية (١٥٠): ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ من أعظم المثبتات أن الله ناصركم فأطيعوه وحده .

(٣١) الآية (١٥١): ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَـٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ بشرى عظيمة بأن الذين أشركوا يلقى الله في قلوبهم الرعب بسبب شركهم ومقرهم في الآخرة النار، وقد رُعب جيش أبي سفيان ولم يجرأ على العودة مرة أخرى عندما عزموا عليها، وهذه البشرى عند الإيمان والصبر، وإلى قيام الساعة .

(٣٢) الآية (١٥٢): ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَـٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ يخبر الله سبحانه بأنه نصرهم في أول المعركة عندما التزموا جميع سننه الموصلة إليه، فلما جبنتم عن القتال، واختلفتم في أمر الرسول ﷺ ــ وهم الرماة ــ وعصيتم أمره

المشدد لكم، وطلبتم الغنيمة من بعد ما أراكم الله النصر، وعندها منعكم الله نصره، منكم من يريد الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة، وردكم عن الكفار ليمتحنكم، فيظهر المخلص من غيره، ولما كان هذا من طبائع النفوس تفضل الله – تعالى – بالعفو عنكم .

(٣٣) الآية (١٥٣): ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ يذكر من هرب من الصحابة في الأرض ولا يعرج على أحد من الدهش والخوف والرعب، والرسول ﷺ، قد خلفتموه وهو يدعوكم إلى العودة وترك الفرار من الأعداء، فجازاكم غماً بالهزيمة، بسبب غمكم لرسول الله بالمخالفة وبسبب ما حدث له، وبسبب الغنيمة، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من القتل والهزيمة، وهو سبحانه خبير بما تعملون .

(٣٤) الآية (١٥٤): ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ ثم أنزل على الصادقين منكم من بعد الغم الأمن والطمأنينة بالنعاس، أما من كان في قلبه نفاق فلم ينله هذا الأمن، وهم الذين ظنوا بالله ظن

الجاهلية، وقالوا: هل لنا من الأمر من شيء، مع أن الأمر كله لله، وقد أخفوا في أنفسهم القول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا في هذا المكان، فيعلمهم أن من كتب الله عليه الموت سيموت ولو كان في بيته قضاء الله واقع لا محالة، وما حدث في أحد هو اختبار من الله للقلوب ليميز المخلص من المنافق، والله لا تخفى عليه خافية .

(٣٥) الآية (١٥٥): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ إن الذين تولوا يوم أحد إنما أزلهم الشيطان بوسوسته بسبب بعض ذنوبهم، وهو مخالفة أمره ﷺ، وقد عفا الله عنهم بفضله .

(٣٦) الآية (١٥٦): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ يحذر الله تعالى المؤمنين عن مشابهة الكافرين في اعتقادهم الفاسد أن من مات في الأسفار أو في الغزو، لو كانوا عندهم ما ماتوا وما قتلوا، فقد جعل الله ذلك حسرة في قلوبهم على موتاهم وقتلاهم، فالإحياء والإماتة بيد الله وحده، وهو بصير بجميع خلقه .

(٣٧) الآية (١٥٧): ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ فالقتل في سبيل الله والموت وسيلة إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير من الدنيا وحطامها .

(٣٨) الآية (١٥٨): ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ فالمرجع والمصير في الموت أو القتل إلى الله سبحانه، ويجازي كلاً بعمله .

(٣٩) الآيـــــة (١٥٩): ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ فبرحمة الله لنت لهم فسهلت أخلاقك إذ خالفوك، ولو كنت سيئ الخُلق جافياً غليظ القلب لتفرقوا من حولك، فتجاوز عنهم ما أتوه واستغفر لهم حتى أغفر لهم، واستخرج آراءهم في أي شأن تطييباً لقلوبهم وليُستن به، وبعد المشاورة خذ قرارك وتوكل على الله .

(٤٠) الآية (١٦٠): ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ إن يعنكم الله على عدوكم فلا غالب لكم، وإن يترك نصركم لا ناصر لكم غيره، فتوكلوا عليه .

(٤١) الآية (١٦١): ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ نهى عن الخيانة في الغنيمة، فمن يفعل ذلك يحمله يوم القيامة فيجازى على عمله، وتوفى كل نفس بما كسبت .

(٤٢) الآيـــة (١٦٢): ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾ شتان بين من اتبع رضوان الله فيفوز به وبين من يرجع بسخط الله، ومقره ومصيره جهنم .

(٤٣) الآية (١٦٣): ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ هم أصحاب درجات عند الله مختلفو المنازل فلمن اتبع الرضوان الثواب ولمن باء بالسخط العقاب.

(٤٤) الآية (١٦٤): ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ يمتن الله على المؤمنين لبعثة نبيه ﷺ يتلو عليهم القرآن الكريم ويطهرهم من الذنوب ويعلمهم القرآن والسنة، وقد كانوا من قبل بعثته في ضلال واضح .

(٤٥) الآية (١٦٥): ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ عندما أصابكم يوم أحد ما أصبتم عدوكم مثليها في بدر، تعجبتم وقلتم من أين أتى لنا ذلك، والجواب: لأنكم تركتم المركز فخذلتم ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم .

(٤٦) الآية (١٦٦٩: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ أن ما أصابكم يوم أحد فبإرادة الله، وليعلم المؤمنين علم ظهور .

(٤٧) الآية (١٦٧): ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ يذكر ما حدث من انصراف عبد الله بن أبي بن سلول ودعوة عبد الله بن عمرو بن حرام له ومن معه بالرجوع إلى رسول الله ﷺ فقالوا لا يقع قتال، ولو كنا نعلم لما تركناكم، هو يومئذ إلى الكفر أقرب والله عليم بنفاقهم" [1] .

(١) راجع: تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤٢٥ .

(٤٨) الآية (١٦٨): ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ الذين قالوا لإخوانهم في الدين، وقد قعدوا عن الجهاد لو أطاعونا أي شهداء أحد أو إخوانهم في القعود ما قتلوا، قل فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في أن القعود ينجي منه .

(٤٩) الآيـــة (١٦٩): ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ الشهداء في سبيل الله أحياء عند ربهم في حواصل طير خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش .

(٥٠) الآية (١٧٠): ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ إن الشهداء مسرورون بما هم فيه من النعمة ومستبشرون بمن يقتل في سبيل الله، وهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوا وراءهم .

(٥١) الآية (١٧١): ﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ يستبشرون بثواب الله وبزيادة عليه وهو سبحانه يأجر المؤمنين .

(٥٢) الآية (١٧٢): ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ يثني سبحانه على الجيش الذين استجابوا لله ولرسوله عندما دعاهم إلى حمراء الأسد، فخرجوا سراعاً بجراحاتهم وآلامهم فلهم أجر عظيم فكان في أُحد نصران بينهما كبوة أو محنة .

(٥٣) الآية (١٧٣): ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [١] فعندما أراد أبو سفيان أن يرهبهم فأرسل نعيم ابن مسعود الأشجعي بأن قريشاً جمعت الجموع لاستئصالهم فلا تأتوهم زادهم هذا القول تصديقاً ويقيناً وقالوا كافينا الله وهو نعم المفوض إليه الأمر، فألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وجيشه في حمراء الأسد، وفي بدر الموعد [٢] .

(٥٤) الآية (١٧٤): ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ فرجعوا بنعمة من الله بسلامة وربح لم يمسسهم سوء وأطاعوا الله ورسوله في الخروج .

(٥٥) الآية (١٧٥): ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ إن الشيطان يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذووا بأس وشدة، إن القائل لكم إن الناس قد جمعوا لكم الشيطان يخوفكم أولياءه الكفار فلا تعيروهم اهتماماً وعليكم بطاعتي وعدم مخالفة أمري وتوكلوا عليَّ والجأوا إليَّ فإني كافيكم وناصركم [٣] .

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله: الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، رقم الحديث: ٤٥٦٣ .

(٢) انظر: تفسير الجلالين، ج ١ ص ٩١ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٤٣١ .

(٥٦) الآية (١٧٦): ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ فلا يحزنك الذين يقعون في الكفر سريعاً بنصرته وهم أهل مكة والمنافقون، لا تهتم لكفرهم فإنهم لن يضروك شيئاً إنما يضرون نفسهم فلا حظ لهم في الآخرة فلذلك خذلهم الله ولهم عذاب النار .

(٥٧) الآية (١٧٧): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله بكفرهم ولهم عذاب أليم .

(٥٨) الآية (١٧٨): ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ ولا يحسبن الذين كفروا إمهالنا لهم خيراً لأنفسهم إنما ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين في الآخرة .

(٥٩) الآية (١٧٩):﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ أيها الناس ما كان الله ليترك المؤمنين بدون تمييز بين المخلص منهم والمنافق، وما كان الله ليطلعكم على الغيب فتعرفوا المنافق من غيره دون تمييز، ولكن الله يختار من رسله من يشاء فيطلعه على بعض غيبه كما أطلع نبيه ﷺ على حال المنافقين، فأطيعوا الله ورسوله وابتعدوا عن النفاق، ولكم أجر عظيم [1] .

(١) اعتمدت في تفسير هذه الآيات على التفاسير الآتية:

(٦٠) الآية (١٨٠)، يخبر الله سبحانه بأنه لا يظن البخلاء، الذين يقبضون أيديهم عن الزكوات أنه خير لهم بل هو شر لهم، فسيجل أطواقاً في أعناقهم يعذبون به يوم القيامة، وأن كل ما في السموات والأرض ملك لله سبحانه وسيرجع إليه، والله مطلع على ما يصدر من الإنسان من بخل أو إنفاق وسيجازي كلاً بعمله .

١ ــ تفسير ابن كثير. ٢ ــ تفسير الفخر الرازي . ٣ ــ تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور .

٤ ــ تفسير الجلالين .

الخاتمـــــــة

لقد وضع الإسلام منهجاً كاملاً شاملاً لجميع جوانب الحياة في السلم والحرب تسير عليه الأمة، ومن هذه الجوانب جانب الحرب، فله في الإسلام منهاج دقيق تمثله سلسلة بدأت من بدر واكتملت في تبوك، تقعيداً وتم تطبيقه على عين رسول الله ﷺ وأنزل الله فيه الآيات البينات، ففي بدر نزلت سورة الأنفال، وفي أحد نزل ستون آية من سورة آل عمران، وفي بني النضير نزلت سورة الحشر، وفي الحديبية نزلت سورة الفتح وفي تبوك نزلت آيات من سورة التوبة، وغزوة أحد تمثل حَلَقة في سلسلة هذا المنهج الشامل في الحرب، كشفت القلوب، وأظهرت النفوس، وتميز فيها الخبيث من الطيب ووضح المجتمع بمكوناته من مخلصين ومنافقين، وأهل كتاب وهم اليهود. فقد تلقت الأمة دروساً استفادت منها في حينها واستمرت معها وتستمر إلى قيام الساعة- إن شاء الله- فمن آمن بالله واعتصم به وأطاعه وأطاع رسوله، وتوكل على الله وسلم له ورضي، كان له النصر والتمكين، ومن انحرف عن التطبيق قيد أنملة فليحذر سنن الله ﷻ. وبعد الرحلة في هذا البحث مع غزوة أُحُد توصلت إلى النتائج الآتية:

(١) أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل العباد بعد رسول الله ﷺ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿ إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو

عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء ﴾ [١] .

ولا يستطيـــع أحد من الأمة أن يبلغ منزلتهم لما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: ﴿ قال النبي ﷺ: لا تسبوا أصحابيه فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه ﴾ [٢] .

وهم أي أصحاب النبي ﷺ أبر الأمة قلوباً، وأعمقها علماً وأثلها تكلفاً، فعلى الأمة أن تقتدي وتستن بهم ، فيقول عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ ﴿ من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهُدَى المستقيم، والله رب الكعبة ﴾ [٣] .

(٢) كرامة الأمة الإسلامية على الله تعالى فقد تولى تربيتها فهو وليها

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند عبد الله بن مسعود ــ رضي الله تعالى عنه ــ إسناده حسن، من أجل عاصم وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات، رجال الشيخين غير أبي بكر ــ وهو ابن عياش ــ ضمن رجال البخاري، وأخرجه له مسلم في المقدمة، م ٦ ص ٨٤، رقم: ٣٦٠٠، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، طبعة (١) ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة .

(٢) رواه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، رقم الحديث: ٣٦٧٣ .والمُد : مقدار ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما. المكاييل د علي جمعة ص٢٤ . والنصيف : النصف .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية، ج ١ ص ٣٠٥، الناشر: دار السعادة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

ووكيلها، وكلف نبيه ﷺ بتنفيذ هذه المهمة، فيجب على الأمة الطاعة والتسليم الكامل له ﷺ .

(٣) العتاب على من تولَّى وفرَّ يوم أحد، وتعليم المؤمنين الثبات ورباطة الجأش عند الانهزام، أو إشاعة قتل نبيهم ﷺ أو القائد فهم على الحق، والرسالة أبقى، ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ [١]، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ [٢] .

(٤) يسجل الله سبحانه الجهد الكبير الذي بذله رسول الله ﷺ في أحد هو والقلة التي ثبتت معه، ثم بقية الجيش بعد ذلك، لكي يحرص المسلمون على تقديم الحمد لله أولاً أن حفظ الدين، والذي قام وجاهد بذلك هو رسول الله ﷺ ومن معه، فيشكر الله أولاً بطاعته والحرص عليها، ويشكر رسول الله ﷺ بتوقيره وطاعته ونصرة رسالته، ويشكر الصحابة فهم الذين بذلوا كل غالٍ من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وتحمل الأمة الأمانة وكل فرد يسلمها إلى من بعده موفورة عزيزة كما تسلمها وإلى أن تقوم الساعة .

(٥) أن المحافظة على تطبيق رسالة رسول الله ﷺ في كافة شئون حياة المسلمين هي وقاية لهم وستر وحفظ من الشيطان وأعوانه والفساد، فيضع الله بذلك الأمن والسكينة والتثبيت في قلوب المؤمنين، فكل فرد من أفراد الأمة على ثغر من ثغورها، فلا تؤت الأمة من قِبَله،

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٣) .

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٤٦) .

وأما أهل الشرك فقد ألقى الله الرعب في قلوبهم بشركهم، ولكن هذا لا يظهر إلا بوجود أهل الصدق في الإيمان .

(٦) أن الله تعالى يكافأ الأمة على صدقها بالتوفيق والسداد والنصر في جميع شئونها في الدنيا وبالحسنى والزيادة في الآخرة، وينزل بها بلاءه عند المعصية حتى ترجع إلى صراطه المستقيم .

(٧) سرعة التغيير وفق ما يعتري النفس فإن استقامت على الطاعة كان العون لها من الله، وإن انحرفت قيد أنملة فلتحذر تأديب الله لها، فالجزاء من جنس العمل، ففي أُحد تنقل الأمر خلال ساعات بين ثلاثة أحوال نصر، فمحنة كادت تسحق الأمة لولا عفو الله عنها، فعودة إلى النصر، وذلك يدعو الأمة في كل زمان ومكان إلى الحذر البالغ، والعمـــل الدائم، في كافة شئون الحياة، محافظة على ما شرع الله ــ تعالى ــ ورسوله ﷺ حتى تكون في أحسن حال .

(٨) إن الشيطان يخوف المؤمنين من أتباعه، فأمرنا الله سبحان عند الصدق معه أن لا نخافهم وإنما الخوف من الله وحده .

(٩) قيادة رسول الله ﷺ الفريدة بحكمتها ورحمتها ورفقها وشفقتها وحزمها وعفوها، فقد حفظ ﷺ الدين والأمة بالتخطيط والتنفيذ، حماها سياسياً فعادت هيبتها وازدادت في أعقاب أحد وبعدها، وحماها اقتصادياً فأَمنَّ طرق تجارتها، وأَمنَّ زراعتها وكل ممتلكاتها وأمنَّها اجتماعياً بالتعاون على البر والتقوى وبمكارم الأخلاق .

(١٠) أهمية اليقين في الله سبحانه ونصره وتأييده، فالله مع المتقين، والتحذير من خطر اليأس فإنه مدمر ومهلك لأصحابه ﴿وَلَا تَأْيَسُواْ

مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [1] .

(١١) علمت قريش الفرق بينها وبين أمة الإسلام، فأمة الإسلام تبذل جهودها لنشر السلام بين العالمين وتستميت في حماية الحق وكرامة الإنسان، فجُذبوا إلى الإسلام وتتابعوا على الدخول فيه بفضل الله أولاً ثم بإخلاص صحابة رسول الله ﷺ .

(١٢) التحذير من السوس الذي ينخر في داخل الجسد المسلم وهم لا يعلمون به وهو النفاق، فهو الخطر الداهم على الأمة، لذلك من فضل الله أن كشفهم وفضحهم في غزوة أُحد لتحذر الأمة منهم، والله من ورائهم محيط، ولو لم يكن في أُحد هذه النتيجة لكانت كافية .

(١٣) الحرص على إقامة الشورى فهي عنصر مهم لما فيه صلاح العباد والبلاد، تقدم فيها ثمرات أفكار الأمة لتكون في صدارة الأمم، وهي من الخصال التسع المنجية من غضب الله" [2] .

(١٤) لا اجتهاد مع النص قاعدة أصولية فقد كان أمام الرماة نص مبين وصريح بعدم ترك المكان، إلا بأمر من القائد الأعلى رسول الله ﷺ، والذي التزم بالنص هو قائدهم المباشر "عبد الله بن جبير" ومعه ما دون العشرة فنال الشهادة والرضا من الله سبحانه، ولما

---

(١) سورة يوسف، الآية (٨٧) .

(٢) ذكرها الله تعالى في سورة الشورى، قال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ {سورة الشورى، الآيات: ٣٦ ــ ٤٠} .

أعمل معظم الرماة اجتهادهم مع النص كانت الكبوة ــ مع العلم بأنهم قاموا بما أُمروا به من قبل، فلم يستطع خالد بن الوليد اختراقهم، وصدوا هجمات كثيرة من خيول الأعداء، وقد استمرت آثار الكبوة سنة كاملة بذل فيها الرسول ﷺ وصحابته ــ رضوان الله عليهم ــ أقصى ما في وسعهم لإزالتها، في بدر الآخرة أو بدر الموعد، وهذا يؤكد لنا وجوب التنفيذ الكامل لأوامر القيادة في كل زمان ومكان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [1] ففي هذه الطاعة الحياة الطيبة .

(١٥) ثبات رسول الله ﷺ بمفرده في ميدان المعركة [2]، ولم يكن معه أحد من صحابته، وقد حفظه الله تعالى مما أراد المشركون به، فقاتلت الملائكة عن يمينه وشماله: جبريل وميكائيل عليهما السلام، في الوقت الذي أصيب فيه "طلحة بن عبيد الله" رضي الله عنه في رأسه ويده وأغمى عليه .

(١٦) رحمته الكاملة ﷺ، وقد تجلت في العديد من المواقف في أحد فمنها: رحمته بجنده عندما حدثت المحنة لم يتركهم ليلقوا مصيرهم، وينجو بنفسه ومن معه بالتوجه إلى المدينة، وإنما اتخذ أخطر قرار في المعركة وهو شق طريق بالذين معه وسط جيش قريش الكثيف إلى هضبة جبل أحد، وكان معه الأسود الذين قتل الكثير منهم في هذه المهمة الصعبة، وهو تصرف لم يفعله أحد من القادة من قبل ولم يفعله أحد حتى الآن، ومن رحمته أيضاً، أنه لم يقدم لوماً لأحد

(١) سورة النساء، الآية (٥٩) .

(٢) فقد كان ﷺ أشجع الناس .

ممن تسببوا في هذه المحنة، ومن رحمته أيضاً ﷺ أن يدفن الشهداء في أماكن مصرعهم رحمة بذويهم وأهلهم، وأمر برد من أخذه أقاربه لدفنه في مقابرهم، فدفن مع الشهداء في أُحد .

(١٧) مشاركة المرأة في الجهاد، والذود عن رسول الله ﷺ فقد كانت نسيبة بنت كعب بجواره ﷺ تقاتل عنه وضربت الأعداء ومنهم ابن قمئة، قمئه الله في النار .

(١٨) الحب الكامل من الصحابة لرسول الله ﷺ، فقد تجلى هذا الحب بصورتين: الأولى: الحب الإيماني، والثانية: الحب العاطفي، فالأول: دفع أصحابه إلى تقدير الرسالة والرسول ﷺ، حق قدرهما، فالرسالة مستمرة والرسول بلغها، والرسول ﷺ سوف ينتقل إلى الله تعالى بالموت أو القتل، فعندما أشيع أن الرسول ﷺ قتل قال هذا الفريق: قوموا فموتوا على ما مات عليه فإن الله حي لا يموت، وقد بلغ رسول الله الرسالة، فقاتلوا عن دينكم، فضحوا بأرواحهم في سبيل الله، وأما أصحاب الحب العاطفي فقد صدموا وقعدوا ودبَّ اليأس عندهم، فكانوا يرون أن الرسول مخلد ليدبر شئونهم. فنزل القرآن الكريم ليؤيد أصحاب الحب الإيماني ويصوب للفريق الآخر وجهته، قال سبحانه. ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [1] فالواجب على المؤمنين العلم بأن الرسول مبلغ رسالة الله، ولا يربطوا بين

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٤) .

الرسالة وحياة الرسول، بحيث إن مات أو قتل الرسول ماتت الرسالة وانتهت بين الناس، ولكن إن مات الرسول فقد بقيت الرسالة ويحمل أمانتها الرجال، ويموتون على ما مات عليه صاحب الرسالة ﷺ لتبقى هذه الرسالة .

(١٩) أن ما حدث في الطور الثاني درس وعبرة، وليس هزيمة، فقد عادت الثقة لجيش المسلمين، وبرقت السيوف مرة أخرى، وأُلقي الرعب في قلوب الكفار، وهذا الطور يمثل مرحلة الدفاع النبيل حيث حمل الصحابة عبء الدين وحافظوا على بقائه .

(٢٠) أن ما وقع في الكبوة كان من موجبات الطباع وبقايا النفوس، ولذلك عفا الله عنهم، وردهم إلى الإيمان الخالص ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [١] .

(٢١) حكم رسول الله ﷺ على من يتجسس على المسلمين [٢] ومن يغدر في عهده بالقتل، فعندما لجأ معاوية بن المغيرة ــ إلى عثمان بن عفان ــ وهو ابن عمه أستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه على إن وجد في المدينة بعد ثلاث قتل، فأقام بعد ثلاث، وتوارى، فبعث رسول الله ﷺ "زيد بن حارثة، وعمار بن ياسر، وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه" [٣]، وعندما ظفر ﷺ

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٢) .

(٢) كان يتجسس لصالح قريش .

(٣) سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٤٤٤، والرحيق المختوم، ص ٢٨٦، ٢٨٧ .

بأبي عزة الشاعر في الطريق إلى حمراء الأسد ــ وكان قد منَّ عليه في بدر، أسره وأمر بقتله لغدره بالمشاركة مع قريش في غزوة أُحد .

(٢٢) الانسجام الكامل بين الإسلام والكون كله، فكل شيء يسبح بحمد الله سبحانه، والمؤمن محب لهذا الكون يحافظ على أمنه وسلامه، ولما حدثت الكبوة في أُحد كان الظن التشاؤم به، ولكن الرسول ﷺ يقول مرات عدة عن أُحد "هذا جبل يحبنا ونحبه" [١] قال ذلك أثناء رجوعه من أسفاره من حج أو غزو، وذكر ابن حجر أقوال العلماء في هذا الحب، ومنها أن الحب من الجانبين على حقيقته .. ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة كما جاز التسبيح فيها، وقد خاطبه النبي ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب [٢] (اسكن أحد) [٣] .

(٢٣) رفع رسول الله ﷺ الروح المعنوية عند صحابته بدعوتهم لحمراء الأسد فعادت هذه الروح إلى ما كانت عليه في بداية غزوة أُحُد فاستحقوا ثناء الله ــ تعالى ــ عليهم ورضوانه، ورجعوا من حمراء الأسد بنعمة من الله وفضل .

(٢٤) إن الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر في أمس الحاجة إلى دراسة غزوة أُحُد بدقة وعمق لكي تنتصر على نفسها أولاً تمهيداً للنصر على عدوها .

---

(١) فتح الباري، ج ٧ ص ٤٣٧. ورواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم الحديث: ٤٠٨٣ .

(٢) السيرة النبوية، م ٢ ج ٣ ص ١٠٢، ١٠٣ .

(٣) رواه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان بن عفان، رقم الحديث: ٣٦٩٩ .

وبعـــــد؛؛؛

فهذا جهدي وهو جهد المقل فإن كنت قد وفقت فمن الله ــ سبحانه ــ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان وحسبي أني اجتهدت، ورحم الله من وجد خللاً فأصلحه، والكمال لله وحده، والعصمة للأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام.

والحمد لله رب العالمين ...

وصلى الله على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله

وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

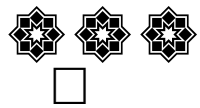

المصـــادر والمراجـــع

- القرآن الكريم: كلام رب العالمين .

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد عبده معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط. الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٢) البـــداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط/ ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٣) تاريخ خليفة خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط، تحقيق: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، ط/ ٢، ١٣٩٧هـ، دار القلم .

(٤) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، سنة النشر: ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر .

(٥) الترغيب والترهيب، للمنذري، زكي الدين عبد العظيم عبد القوي، دار الحدث، بدون .

(٦) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط/١، الناشر: دار الحديث، القاهرة .

(٧) تفسير الشعراوي، خواطر للشيخ/ محمد متولي الشعراوي، نشر ١٩٩٧م، مطابع أخبار اليوم .

(٨) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام/ محمد الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر، ط (٣)، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الفكر، بيروت، لبنان .

(٩) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مكتبة التراث الإسلامي، حلب .

(١٠) تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا، ط. ١٩٧٣م، الهيئة العامة المصرية للكتاب .

(١١) الجامع لأخلاق الراوي، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض .

(١٢) الجامع المسند الصحيح، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط (١)، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

(١٣) جوامع السيرة، لأبي محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: د/ إحسان عباس، ط/١، ١٩٠٠م، دار المعارف .

(١٤) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، لمحمد خير هيكل، دار ابن حزم، بدون .

(١٥) خطب الشيخ/ محمد الغزالي، إعداد: قطب عبد الحميد قطب، دار الاعتصام، رقم الإيداع ٢٢٦٧/ ١٩٨٨م .

(١٦) خاتم النبيين ﷺ، للشيخ/ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون .

(١٧) الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، ط (٢)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

(١٨) الرسول القائد، للواء الركن/ محمود شيت خطاب، ط (٦)، ١٤٢٢هـ، دار الفكر، بيروت .

(١٩) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم عبد الرحمن

بن عبد الله ابن أحمد السهيلي، ط/١، ١٤١٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

(٢٠) دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، ط/١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٢١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، المطبعة المصرية ومكتبتها، بدون .

(٢٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط (٣)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة .

(٢٣) زاد المسلم للدين والحياة، للدكتور/ محمد عبد الله دراز، جمع وإعداد: الشيخ/ أحمد مصطفى فضلية، ط (١)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، دار القلم، الكويت .

(٢٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام/ محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ج (٤)، تحقيق: الأستاذ: إبراهيم الترزي، والأستاذ/ عبد الكريم الغرباوي، ط. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطابع الأهرام .

(٢٥) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ج ١، ٢، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ج ٣، وإبراهيم عطوة، ج ٤، ج ٥، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٢٦) السيرة النبوية، لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: الدكتور/ محمد فهمي السرجاني، المكتبة التوفيقية، بدون .

(٢٧) السيرة النبوية، لأبي الحسن على الحسني الندوي، ط (٣)، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، دار القلم، دمشق .

(٢٨) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ط/١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٩) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض أبي الفضل عياش بن موسى، ط. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، دار الفكر، بيروت .

(٣٠) صحيح مسلم، للإمام/ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون .

(٣١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام/ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، ط/١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، دار الريان للتراث، مطابع الأهرام .

(٣٢) الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: د/ علي محمد عمر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣٣) فقه السيرة، للشيخ/ محمد الغزالي، ط (٨)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار الكتب الإسلامية، بدون .

(٣٤) فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، دار الشروق، بدون .

(٣٥) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط (٧)، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، بيروت، لبنان .

(٣٦) قادة الرسول ﷺ، للواء الركن/ محمود شيت خطاب، ط (٢)، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار القلم، دمشق .

(٣٧) القرآن في شهر القرآن، الشيخ/ عبد الحليم محمود، ط (٦)، دار المعارف .
(٣٨) لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، دار المعارف، بدون .
(٣٩) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨م، دار الريان للتراث .
(٤٠) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، للشيخ/ محمد الصادق عرجون، ط (٢)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار القلم، دمشق .
(٤١) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت .
(٤٢) مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تحقيق: د/ محمد بن عبد المحسن التركي، ط/ﷺ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار هجر، مصر .
(٤٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبي بكر عبد الملك القسطلاني، ط. المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون .
(٤٤) مسند أبي يعلى، أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق: حسين سليم، ط/١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دار المأمون للتراث، دمشق .
(٤٥) معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، ط (٢)، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت .
(٤٦) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الفكر .
(٤٧) المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي أبو عبد الله الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط (٣)، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
(٤٨) المغني، لابن قدامه أبي عبد الله موفق الدين عبد الله بن أحمد بن

محمد ابن قدامه، ط. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مكتبة القاهرة .

(٤٩) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، للشيخ/ محمد الغزالي، ط (٥)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار الشروق .

(٥٠) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف: عدد من المختصين، ط/٤، الناشر: دار الوسيلة، جدة .

(٥١) النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام/ مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوري، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة الإسلامية .

فهرس الموضوعـــات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المقدمـــــة	٢٦٧
التمهيد: شرح مفردات عنوان البحث	٢٧٠
المبحث الأول: الإعداد لغزوة أُحُد	٢٧٣
المطلب الأول: أسباب الغزوة	٢٧٣
المطلب الثاني: إعداد الجيش	٢٧٧
المطلب الثالث: النفاق يسفر عن وجهه	٢٨٣
المطلب الرابع: الرسول ﷺ يعطي أوامره	٢٨٥
المبحث الثاني: أحداث غزوة أُحُد	٢٨٧
المطلب الأول: طور الالتزام بالتوجيهات النبوية	٢٨٧
المطلب الثاني: طور التشاغل بالدنيا وجمع الغنائم	٢٩٤
المطلب الثالث: طور العودة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ	٣١٦
المطلب الرابع: ما يستفاد من غزوة أُحُد	٣٢٢
المبحث الثالث: آثار غزوة أُحُد	٣٣٤
المطلب الأول: الآثار السياسية لغزوة أحد	٣٣٤
المطلب الثاني : الآثار الاقتصادية لغزوة أحد	٣٥٢
المطلب الثالث : الآثار الاجتماعية لغزوة أحد	٣٥٨
المطلب الرابع: الآثار الفقهية لغزوة أحد	٣٦٦
المطلب الخامس: من الفوائد والحكم الربانية في أحد	٣٦٨
الخاتمـــــة	٣٨٩
المصادر والمراجـــــع	٣٩٩
فهرس الموضوعات	٤٠٥